

بغداد أحمد بلية

فضاءات السينما الجزائرية

نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر

فضاءات السينما الجزائرية
نظرة بانورامية على تاريخ السينما في الجزائر

مطبوعات ليجوند

منشورات ليجوند

رقم الايداع القانوني: 4484 – 2011
ردمك :1 -19-965 -9947 -978

الإهداء

إلى أخي عمر

و

إلى كل مهتم بتطوير السينما في الجزائر

الفهرس

ملاحظة : نظرا لتحويل الكتاب إلى نظام pdf تغيرت أرقام الصفحات

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم .
و أنا أعيد قراءة إحدى مقالاتي المنشورة في مجلة العربي الكويتية عن تاريخ السينما الجزائرية وواقعها و آفاقها ، أدركت مدى أهمية الموضوع ، وضرورة إعادة النظر في كثير من القضايا التي طرحت ونوقشت حول السينما الجزائرية عند كثير من النقاد و الصحفيين الجزائريين .
و ما دفعني بشدة إلى البحث في موضوع تاريخ السينما الجزائرية و راهنها ، أن العديد من الباحثين العرب يسألون بإلحاح الإرشاد إلى المراجع العربية التي ناقشت مواضيع السينما الجزائرية ، و للأسف لا تحتوي المكتبة الجزائرية إلا على مؤلفات مكتوبة باللغة الفرنسية ، دون وجود ترجمات لها باللغة العربية .
بداية يجب التأكيد على خصوصية السينما الجزائرية من حيث المنشأ و التطور ، و كذلك محاولة البقاء و أيضا محاولة التميز والبروز في الساحة السينمائية الدولية .
و في كل هذه المراحل التاريخية لم تبعد السينما الجزائرية عن جوهرها الفني إلا لماما ، و ظل النقاد و الكثير من السينمائيين يدعون إلى تسبيق الجانب الفني على الجانب التجاري في الإنتاج السينمائي الجزائري ، و بخاصة أن نظام الإنتاج لم يتحرر من تمويل القطاع العام لإنتاج الأفلام السينمائية ، بل أصبح للتلفزيون الجزائري و هو قطاع عام دور كبير في إنتاج العديد من الأفلام الجزائرية و الأجنبية ، و هذا يجعل السينمائيين في منأى عن مخاطر سوق تجارة الأفلام ، و يدفعهم إلى التركيز على الإبداع الحقيقي ، و السعي إلى التنافس عبرقنوات المهرجانات السينمائية الدولية ، و ضمان الحد الأقصى من الجوائز الفنية التي تصدرها لجان مختصة تقيم الأعمال الفنية بكل موضوعية .
وعلى هذا الأساس حاول معظم السينمائيين الجزائريين منذ استقلال الجزائر إلى يومنا إيجاد الخصوصية الفنية للسينما المحلية، ومنهم من فضل السينما التجريبية ، و كان الميل واضحا نحو سينما فنية ، و الابتعاد قدر الإمكان عن السينما التجارية النمطية التي تفضل رغبات المشاهد و تداعبها .

إن اعتبار السينما فنا طرحت منذ بدايات السينما العالمية ، و لكنها لم تبرز إلا مع وجود مبدعين حقيقيين قاوموا الشركات التجارية للحفاظ على أفكارهم ومبادئهم و إبداعاتهم ، فظهرت في السينما الفرنسية و الأمريكية وجوه فنية فرضت إبداعها على المشاهدين ، و أصبحت أعلاما في تاريخ السينما ،بداية من شارلي شابلين وإيزنشتاين و فون شترويم وفرنسوا تريفو و غيرهم ..-1-

" هناك هوة كبيرة طوال تاريخ السينما بين العرض التجاري و بين التعبير الفني ، وقد ازدادت عمقا مع مرور الأيام ، فمن ناحية هناك الإنتاج الذي لا طابع له النمطي الذي يخضع لشباك التذاكر ، و من ناحية أخرى الإنتاج الذي يهدف إلى تحويل السينما إلى عمل فني حقيقي ذي مستوى رفيع " .-2 -

و مع ازدياد نفوذ الشركات التجارية العالمية لإنتاج و توزيع المنتوج السينمائي العالمي تقلصت حرية المبدعين السينمائيين ، و أصبحوا تحت سيطرة قوانين التجارة العالمية ، وتوجهات أصحابها و أفكارهم ، و هو بالتالي نظام قد يعيق الإبداع الفني أكثر مما يطوره ، بغض النظر عما وصلت إليه السينما من تطور مذهل في مجال التصوير و دقته و التحكم في الألوان و الحيل السينمائية ، غير أن السينما ستبقى زمنا طويلا وسيلة للتسلية ، وربما سنظل ننتظر دورة زمنية تدوم خمسة عشر سنة للعثور على فيلم واحد يعتبر عملا فنيا صريحا ، يقدم جديدا للمشاكل الأساسية للفكر الإنساني حسب نبوءة روجي بوسينو .-3 -

أصبحت الجزائر تعاني من مشاكل وجود قاعات سينمائية كافية لعروض الأفلام المنتجة ، بعدما كانت تبلغ أكثر من ثلاث مائة قاعة بعد استقلال البلاد ، و لم يمنع السينمائيين الجزائريين آنذاك من التوجه نحو فنية السينما عوض التوجه التجاري ، و ذلك بالرغم من وجود محاولات كثيرة تسعى إلى إطلاق العنان للتجارة السينماتوغرافية وكبح جماح سينما المؤلف .

إن المرحلة التي تعيشها السينما الجزائرية تعتبر انتقالية ، حتى يتمكن العاملون في القطاع السينمائي من ابتكار نظام حر يساعد على إنتاج الأفلام السينمائية و عرضها على المشاهد الجزائري ، و أن يكون لذات المشاهد رأي فيما يعرضه المبدعون الجزائريون ، و لكن يبقى من أولويات

السينمائيين الإبقاء على الإنتاج السينمائي موجودا ، و الحفاظ على وتيرة الإنتاج المتزايدة، بالرغم من تحكم لجان حكومية في نظام الإنتاج .
و على هذا تصبح الخصوصية التي أشرنا إليها في البداية ، وهي وجود إنتاج سينمائي جزائري بتمويل حكومي في بعض الأحيان، و في أحيان أخرى يبحث المبدعون عن دعم مالي من جهات متعددة منها التلفزيون الجزائري أو الفرنسي او البلجيكي و السويسري ،أو شركات خاصة أوروبية أو كندية ، و يتم فعلا إنتاج أفلام جزائرية ، تعرض في أسواق خارجية و مهرجانات دولية و تتحصل على جوائز من تلك المهرجانات ، و لا يتمكن المشاهد الجزائري من رؤية تلك الأفلام لانعدام قاعة عرض سينمائي ، و لكن هذا الوضع لا ينفي عن تلك الأفلام صفتها الفنية السينمائية ، و لا ينفي عنها نسبتها إلى السينما الجزائرية ، مادام المبدعون جزائريون أو أصلهم جزائري .
ولا مجال للشك في جزائرية الكثير من السينمائيين المولودين خارج الفضاء الجغرافي لوطنهم ، بل و المتحصلين على جنسيتين ، إذ يبقى الانتماء إلى وطنهم الأم دافعا قويا للرجوع إلى بلدهم الأصلي لتصوير أفلام عنه و فيه .
فمع استقلال الجزائر لم يكن لدى المهتمين بالفن السينمائي سوى حل واحد هو الالتحاق بكبرى مدارس السينما في فرنسا و يوغسلافيا وروسيا ، ثم العودة إلى الجزائر لتوظيف تلك المعارف الفنية في خدمة الإبداع المحلي ، وبهذا يصبح عاديا أن يمارس جزائري مهنة السينما في الخارج ثم يعود بعد إتقانه مبادئ الفن و معرفته الشاملة بآليات إنتاج و توزيع الافلام السينمائية في البلدان الأوروبية ، و يستفيد من تقاليد الغير لبناء و تسطير نظام جديد قد يسمح للسينما الجزائرية بالانتعاش و التطور .
حاول هذا البحث المقتضب الإجابة على بعض الأسئلة ، حول ماضي السينما في الجزائر و راهنها ، ونرجو التوفيق في التحليل و عرض الأدلة ، على أن الحقيقة تبقى رهينة العاملين في الحقل السينمائي من مخرجين و كتاب سيناريو و تقنيين .

و أسأل الله التوفيق .

علاقة السينما الفرنسية بالفضاء الجزائري

يكاد يتفق مجموع المؤرخين الجزائريين على أن البداية الحقيقية للسينما الجزائرية كانت في النصف الثاني من القرن العشرين مع اندلاع ثورة التحرير الجزائرية ، وهذه حقيقة لا شك فيها ، بيد أن الجزائر عرفت فن السينما قبل ذلك بنصف قرن من الزمن .
نحن أمام مصطلحين ومفهومين مختلفين تماما ، السينما الجزائرية و السينما في الجزائر ، ونضيف إليهما مصطلحا ثالثا يحتاج إلى توضيح ونقد وهو ما سماه الكثير من المؤرخين الفرنسيين " السينما الكولونيالية " ومن بينهم روبير موريس باتاي R.M.Bataille و كلود فييو C.Veillot في مؤلفهما " كاميرات تحت الشمسCameras sous le soleil " وكذلك ب. لوبروهن B.Leprehon. في كتابه " السينما و الغرائبية L'exotisme et le cinéma " 1946 وكذلك ب .بولونجي "السينما الكولونيالية Cinéma coloniale "و أيضا غي هنبيلGuy Hennebelle "السينما و المجتمع في المغرب " ، ومن الجزائريين نذكر عبد الغني مغربي الذي أكد ما قاله النقاد و المؤرخون الفرنسيون قبله حين وصف السينما في الجزائر ما قبل الثورة التحريرية بأنها كولونيالية " الجزائريون في مرآة السينما الكولونيالية Les Algériens au miroir du cinéma coloniale " .
لقد تواتر مصطلح السينما الكولونيالية إلى درجة أصبح مرسخا في الأذهان سواء عند الفرنسيين أو المغاربة ، ولم يجرأ أي دارس لمناقشة الظاهرة بعيدا عن التعصب والجدال ،مثلما نرى مع تصريحات كثير من السينمائيين الجزائريين بأن الجزائر لم تعرف السينما إلا مع اندلاع حرب التحرير ، و إن كل ما سبق تلك الحقبة من أفلام ماهي إلا نتاج فكر استعماري بغيض لا يمت بصلة إلى الشعب الجزائري المضطهد بل يمثل صورة للفرنسي البغيض الذي تجاهل الأهالي أصحاب الأرض وجعل الصورة تخدم المعمريين الحاقدين .
لا شك أن ما قاله الكثير من السينمائيين الجزائريين و بخاصة الرواد منهم يحمل الكثير من الصواب ، بل إن بعض الباحثين ذهبوا بعيدا حين ربطوا بين الدراسات الاجتماعية و الظاهرة السينمائية مثلما فعل عبد الغني

مغربي في مؤلفه " الجزائريون في مرآة السينما الكولونيالية " إذ بين أن الأفلام السينمائية التي صورت في الجزائر منذ ظهور السينماتوغراف على يد الأخويين لوميار حتى 1962 سنة ظهور آخر فيلم فرنسي بالجزائر أي ما يعادل ثمانين فيلما كانت عبارة عن سينما دعائية لا إنسانية أظهرت صورة نمطية سلبية للشخصيات العربية بل في كثير من الأحيان تجاهلتها ، و ركزت على الجغرافية وكأنها خالية من السكان الأصليين .- 1 -

ويبدو أن كل الدراسات التي تعرضت للسينما التي صورت في الجزائر وعن الجزائر كانت تبتعد عن الحقائق الفنية ،مما جعلها تصل إلى نتائج مغلوطة ، لذا ارتأينا البحث عن نقاط محددة و دقيقة لنتمكن من رصد الظاهرة و دراستها موضوعيا .

بداية سيكون التركيز على مصطلح السينما الكولونيالية ثم سنتتبع مراحل ظهور السينما في الجزائر لنصل في الأخير إلى مرحلة السينما الجزائرية بمختلف محطاتها حتى العقد الأول من القرن الواحد و العشرين .

السينما الكولونيالية أم السينما الفرنسية :

" لماذا لم تر السينما الفرنسية المغرب الحقيقي؟ " – 2-

تشبه السينما الكولونيالية إلى حد بعيد الأدب الكولونيالي في الجزائر ، ونعني بالأدب على الخصوص الرواية و القصة القصيرة ، إذ من المؤكد أنهما ظهرا بأوروبا ، ومع بداية العهد الاستعماري ظهرت الكتابات عن الجزائر من طرف رحالة وعسكريين بل من طرف العديد من الروائيين الفرنسيين المشهورين في القرن التاسع عشر .

كانت الغرائبية تنبعث من كتابات أولئك الكتاب و المبدعين ، إذ رأوا في الجزائر صورة للشرق العربي الذي أثر في الغربيين منذ أن ترجم أنتوان غالان حكايات ألف ليلة و ليلة ، وفي بعض الأحيان كان تركيز الضباط الفرنسيين على انتصاراتهم في الأرض الجديدة ، مثل لويس فييو في كتابه

" الفرنسيون في الجزائر 1853 " و من الأدباء من أثنى على البلاد المغتصبة أمثال الأخوين غونكور Edmond huot de goncourt –jules de goncourtوثيوفيل غوتييTéophile Gauthier وأوجين فرومنتان Eugéne Fromentin وغي دو موباسانGuy de Maupassant وألفونس دوديAlphonse daudet وأنري جيون Henri Gheon وفرنسيس جيمسFrancis James وبيار لويس Pierre Louys وأوسكار وايلد Oscar wilde و أندري جيد André Gide.
ويؤكد غابريال أوديزيوGabriel Audisio أحد الروائيين الفرنسيين المقيمين بالجزائر أن كتابات الأدباء الفرنسيين عن الجزائر في القرن التاسع عشر كانت سببا مباشرا في ظهور أدب كولونيالي مصدره الجزائر .-3-
ولكن لا يمكننا بأي حال أن نصنف كتابات أولئك الروائيين الفرنسيين ضمن الأدب الجزائري أو الرواية الجزائرية –4-
بل لا يمكننا تصنيفها ضمن الأدب الكولونيالي الذي سيظهر مع كتاب فرنسيين مقيمين في الجزائر أمثال لوي برترانLouis Bertrand مع رواياته المشهورة " دم الأجناسLe sang des races 1899 " أو "شينا La Cina1901" أو "بيبيت المحبوب Pepéte le bien aimé 1901" أو مدن الذهبLes villes d’or "1921 أو " عبر دروب الجنوب Sur les routes du sud " 1936 وكذلك غاستون بواسييهGaston Boissier أو أوجست روبنيهAuguste Robinet أوجون أنتوان Jhon Antoine Nauوجون بومييه Jean Pomierوشارل هاغلCharle Hagel وروبير راندو Robert Randau ومن بعدهم الكتاب المولودين بالجزائر أمثال غابريال أوديزيو و ألبير كاميAlbert Camus وجون بليغري Jean Pelegri.
إن كتابات الفرنسيين عن الجزائر في القرن التاسع عشر تصنف ضمن الأدب الفرنسي أما كتابات الفرنسيين المقيمين بالجزائر فيمكن عدها ضمن الأدب الكولونيالي لسعي أصحابها إلى الانفصال عن الأدب الفرنسي بالانتماء اللاتيني في البداية مع لوي برتران أو الروماني مع غاستون بواسي وانتهاء بالمدرسة الجزائرية المتوسطية مع ألبير كامي .-5 -

وبنفس الرؤيا يمكننا الحكم على السينما التي صورت في الجزائر أو عنها منذ نهاية القرن التاسع عشر إلى الستينات من القرن العشرين ، فأغلبها نابع من سينمائيين فرنسيين مشهورين و أقل شهرة ، تعرضوا إلى حيوات أبطال فرنسيين وفدوا إلى الجزائر بنظرة غربية استعمارية بحيث أنهم لم يلقوا بالا إلى السكان الأصليين ، لأنها أفلام في حقيقتها موجهة إلى المشاهد الفرنسي و الغربي أكثر من الجزائري أو الإفريقي .
لقد أورد فييو و باتاي في كتابهما " كاميرات تحت الشمس " أن مخرجا سينمائيا ألمانيا وجه له نقد حول السيناريو الذي قدمه للسلطات المحلية بمدينة الجزائر فأجاب :

" ما الذي يهم ؟نحن نصنع الفيلم للأوروبيين و ليس لكم أنتم " .-6 -

مع العلم أن السائل كان صحفيا من السكان ذوي الأصول الأوروبية ، مما يدل قطعا أن الأفلام المصورة في الجزائر كانت موجهة للمشاهد الغربي ، أما المشاهد الجزائري سواء أكان من السكان الأصليين أم من المعمرين لم يكن له أي اعتبار في نظر المنتجين و المخرجين للأفلام الفرنسية أو الألمانية و الإيطالية و الأمريكية المصورة في الجزائر .
ومع ذلك نجد محاولتين اثنتين يمكن اعتبارهما فعلا ضمن السينما الكولونيالية في الجزائر ، أولهما " في قلب القصبة أو ماريا بيلار Au Coeur de la casbah ou Maria pilar " للمخرج بيار كاردينالPierre Cardinal 1952 و الثاني "زيتون العدالة Les oliviers de la justice" من إخراج الأمريكي جيمس بلو James Blueخريج معهد السينما العالي للدراسات السينماتوغرافية بباريس IDHEC و من إنتاج شركة محلية لإنتاج الأشرطة الوثائقية بالجزائر العاصمة ، و سيناريو لكاتب محلي جون بليغري jean Pelegri.
أما الفيلم الأول فيصنف ضمن السينما الكولونيالية لأن صاحبه بيار كاردينال كان من المعمرين الأوروبيين ، فقد ولد بالعاصمة الجزائرية سنة 1924، ثم التحق بمعهد السينما بباريس ما بين1946 و 1948 ، و كان فيلمه

الأول محاولة لتأسيس سينما داخل الجزائر المستعمرة ، لذا توجه إلى المكان الأكثر تعبيرية في تاريخ الجزائر ، قصبة الجزائر المكان الذي سبق للسينما الفرنسية أن خلدته في فيلم " بيبي الموكوPépé le moko "لجوليان دوفيفييهJulien Duvivier ، وقد كان تأثير الفيلم واضحا على قصة بيار كاردينال ، مع أنه صرح بأنه اقتبس القصة من مسرحية فيدرPhedre لراسينRacine .

حاول بيار كاردينال أن يقتحم المكان التاريخي في العاصمة الجزائرية ليحكي لنا قصة حب بين ميشيل العائد بعد سفر دام ثماني سنوات للبحث عن أبيه ، وبين زوجة أبيه ماريا بيلار .

غير أن بيار كاردينال ابتعد عن فكرة السينما المحلية مع فيلمه الثاني " نزوة يوم Fantaisie d'un jour1955 " ليلتحق بالتلفزيون الفرنسي بداية من 1960 إلى غاية وفاته سنة 1998.

أخرج للتلفزيون الفرنسي 17 عملا من بينها بعض الأشرطة الوثائقية منها " مرسى الكبير " 1979 ، وسبعة مسلسلات منها الصديق الوسيم Le bel ami 1983وفيدر Phedre1988 .

أما فيما يتعلق بالفيلم الثاني لجيمس بلو ، فقد كان الظرف التاريخي هو الدافع لإخراجه ، إذ حاول الروائي جون بليغري أن يظهر مدى التسامح السائد بين المعمرين الفرنسيين و ما يسمونهم الأقدام السوداء و الجزائريين ، وفي نفس الوقت تنبأ الكاتب بنهاية الفترة الاستعمارية بالجزائر .

حول الروائي جون بليغري روايته المنشورة سنة 1960 إلى سيناريو بمعية جيمس بلو ، في أول تجربة روائية خيالية للمخرج الأمريكي ،و قد كانت بدايته السينمائية بإخراج العديد من الأفلام الوثائقية لنفس الشركة التي أنتجت فيلمه الروائي ،و بعد تلك التجربة عاد جيمس بلو مرة إلى الأفلام الوثائقية فأخرج خمسة قبل وفاته سنة 1980 .

ومع ذلك لا يمكننا اعتبار هذين الفيلمين نموذجين لسينما كولونيالية فعلية ، فقد أخرجا في الخمسينات من القرن العشرين وهي مرحلة أفول الاستعمار

في الجزائر ،و بعد اندلاع الثورة التحريرية نهاية سنة 1954 لم تعرف الساحة الفنية إلا فيلما واحدا من إخراج الأمريكي جيمس بلو .
ولهذا يجب إعادة النظر في كل مفاهيم السينما الكولونيالية ، ومع أن العديد من الروائيين و المخرجين كانوا من مواليد الجزائر ، إلا أن أعمالهم كانت تتوجه نحو إنشاء سينما فرنسية أكثر منها كولونيالية جزائرية و لهذا يمكن القول إن السينما الفرنسية هي التي أساءت إلى صورة السكان الأصليين للجزائر كما يمكننا القول أيضا أن السينما الفرنسية كانت متأثرة في توجهها المنحى الإستعلائي بالرواية الفرنسية ، فالأدب الفرنسي كان له الدور السلبي في تصوير واقع المستعمرات ومعاناة شعوبها .

بدايات السينما في الجزائر :

يتفق جل المؤرخين على أن بداية السينما كانت على يدي الأخوين لوميار الفرنسيين ، و كان ذلك يوم 28 ديسمبر 1895 إذ اختار أنتوان لوميار المقهى الكبير بباريس لإقامة استعراض جديد مقابل 35 فرنكا ، كان العرض عبارة عن صور متحركة تبث من عمق القاعة المظلمة، و قد دفع الفضول 35 متفرجا لمشاهدة الحدث الفريد ، إذ شاهدوا أفلاما قصيرة جدا أبهرتهم كثيرا ، منها الخروج من معامل الإخوة لوميار Sortie des usines lumieres و تخاصم الرضع-Querelles de bébés ووصول القطار L’arrivée d’un train و الحدادLe maréchal ferrant و الحائطLe mur و الأعشاب الضارة Les mauvaises herbes . و الفيلق Le regiment. و أحواض مصانع الآجر Les bassins des tuileries -7- .
كان الإعجاب بالعرض الجديد شديدا إلى درجة أن المتفرجين قدموا إلى المقهى بالعشرات ، مما دفع بالأخوين إلى البحث عن عروض جديدة تشد المتفرجين ، ففتحت قاعات للعروض بالمدن الفرنسية الكبيرة ومنها ليون ثم بوردو .



أوجست لوميار

لتحقيق أكبر ربح ممكن من العرض الجديد وظف الأب لوميار بعض قناصي الصور و المشاهد ومنهم فليكس مسغش Felix Mesguisch، الذي كلف بتصوير مشاهد حية من فضاءات مكانية قريبة و بعيدة ، و كان المسؤول عن عرض أفلام لوميار في العالم ، بداية من لندن 17 فبراير 1897 ، ثم بروكسل في 22فبراير ثم برلين و أخيرا نيويورك .-8-
جاب فليكس مسغش مشارق الأرض و مغاربها ، وصور مشاهد حية من حياة الناس في تلك الأعوام الأخيرة من القرن التاسع عشر ، و لم ينس بالطبع الأرض التي ولد فيها و هي الجزائر ، إذ عرض للمشاهد الأوروبي و الأمريكي العديد من الأفلام القصيرة عن الجزائر العاصمة و تلمسان و وبسكرة .

و من بين الأفلام الواردة في قائمة أفلام الإخوة لوميار نجد دعوة المؤذن Priere du muezzin رقم 197 –حمير Anes 198 – السوق العربي Marché arabe 199–ساحة الحكومة Place du gouvernement200 – باب عزون Bab azzoun 201– تفريغ الميناء Déchargement du port202 – وفي تلمسان نجد شارع معسكر Rue de mascara 203 – شارع سيدي بومدين Rue sidi boumediene 204– شارع فرنسا Rue de france 205وكذلك مشاهد من مدينة بسكرة .-9 -

بالرغم من أن فليكس مسغش كان تقنيا همه قنص لحظات من الحياة الإنسانية ، إلا أنه حين قدم إلى الجزائر العاصمة لتصوير بعض

المشاهد بها ، لم يكن حينئذ مصورا عاديا إنما أحس ذكريات طفولته تنهال عليه ، و لم يستثن من تلك الذكريات العناصر والأماكن الأصلية إنما الجزائر بقصبتها ومساجدها و أحيائها تشكل بالنسبة إليه ملاذا نفسيا كما ذكر ذلك في مذكراته .-10 –

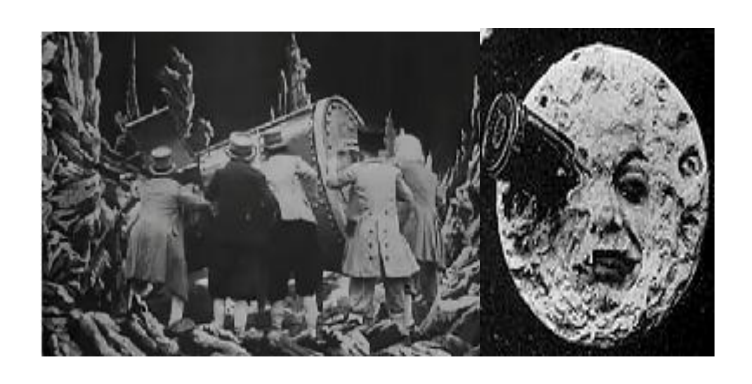
" الجزائر تتألق تحت شمس الظهيرة ، المسجد ، القصبة ، سلسلة الشوارع الضيقة والصاعدة ، المنازل العربية الصغيرة ..إني أرصد ديكور شبابي .."-11 -

مهما كانت المشاهد التي صورها فليكس مسغش عن الجزائر وتلمسان وبسكرة قاسية ، فإنها كانت تعكس حقيقة تاريخية لا دخل للمصور فيها ، إلا إذا تعمد التحريف ، و هذا غير وارد فيما يخص فليكس مسغش .
وعرضت أفلام لوميار القصيرة بالجزائر العاصمة وبعدها وهران خريف سنة 1897 . -12 -
لما عرض الأخوان لوميار أول عرض سينماتوغرافي لهما بباريس ، حضره شخص متميز " جورج ملياسGeorge Melies "مدير قاعة أودنHoudin بباريس ، وبمجرد انتهاء العرض تقدم للأب لوميار و طلب منه شراء جهاز العرض الجديد ، لكنه قوبل بالرفض الشديد ، فتوجه إلى مخترع أنجليزي روبرت ويليام بول Robert WilliamPaulو اقتنى منه جهازه البيوسكوب Bioscopeوتمكن من تطويره.-13 -
إتخذ جورج ملياس منزله بمونتروي Montreuilمكانا لتصوير أفلام مشابهة لمشاهد اللأخوين لوميار مكونا بذلك أول أستديو في تاريخ السينما ،و أنشأ أول شركة لإنتاج الأفلام سماها ستار فيلم ، وبدأ يعرض أفلامه في قاعة أودن ومنها" بستاني يحرق الحشائش Jardinier brulant des-herbes " و" لعبة النرد Partie de cartes " ثم تحول من تصوير الواقع إلى عالم الخيال وبخاصةما علق في ذهنه من حكايات شعبية عجيبة مثل

سندريلاCendrillon والنزل المسحورAuberge ensorcelée- والقصر المسكونChâteau hanté .

و لكن سرعان ما تحول إلى الأعمال الأدبية المشهورة في زمنه مثل السفر إلى القمرVoyage dans la lune و عشرون ألف قدم تحت الماء Vingt mille lieux sous les mers لجول فرن Jules Verne.

وتمكن من إخراج 600 فيلم في حياته السينمائية القصيرة ، و كان بذلك أول مخرج و مكتشف وموظف للمؤثرات الخاصة.كما أن الكثير من المؤرخين و النقاد يعتبرونه المؤسس الحقيقي لفن السينما.**14-**
لم يزر يوما جورج ملياس الجزائر ، و لكننا نجد من ضمن أفلامه ثلاثة تتعرض إلى موضوع العربي و الجزائري المسلم، أولها " المسلم المضحكLe Musulman rigolo " في دقيقتين سنة الصدور 1897 ، ومع أن الفيلم صور بأستديوهات جورج ملياس ، إلا انه يوحي بسخرية المخرج من موقف وشخصية إسلامية معينة و المسلم يعني بالضرورة الشخصية العربية من شمال إفريقيا ، أما ثاني فيلم فكان سنة1906 "شبح الجزائرFantome D’Alger " تدور أحداثه حول جلسة روحانية تتجسد إثرها الأشباح في مواقف هزلية و درامية ، أما ثالث فيلم فهو " علي باربويو علي يأكل بالزيت Ali Barbouyou Ali bouffe à l’huile" يصور رساما شرقيا ومساعده العربي الذي يأخذ خطأ قنينة الزيت المستعملة للرسم ويشربها مما يسبب له هلوسة ، وهو بذلك فيلم هزلي صور مساعد الرسام في مواقف كوميدية مضحكة .



مشهد من فيلم جورج ملياس السفر إلى القمر

وهنا يمكننا أن نتساءل لماذا صور جورج ملياس شخصية الجزائري بهذه الصورة الكاريكاتورية ؟

يبدو جليا أن جورج ملياس متأثر بنظرة فرنسية استعمارية تعظم الشخصيات الفرنسية وتحط من شأن كل الشخصيات المستعبدة الواقعة تحت السيطرة الكولونيالية ، وهذا منبعه الكتابات الصحفية و الخطابات السياسية السائدة آنذاك ، كما أن الأدب كان له دور كبير في توجيه الرأي العام الفرنسي .

فبداية من سنة 1880 شهدت المستعمرة الجزائرية أزمة الهجرة الأوروبية إذ تناقص عدد المهاجرين من إيطاليا و إسبانيا بنسبة عالية جدا ، في حين عزف المستعمرون عن المناطق الفلاحية النائية و عن المدن الكبيرة ، بالرغم من الإغراءات الكبيرة التي وعدت بها السلطات الاستعمارية المحلية -14-

ولهذا السبب شنت الصحافة الفرنسية حملة إعلامية لتعبئة الرأي العام الفرنسي للمغامرة في الأراضي الجزائرية مع التركيز على المهمة الحضارية التي تقدمها فرنسا لشعوب مستعمراتها ،وذلك ما بين 1890-1895 وفي هذه الحملة كان العنصر الفرنسي هو الأعظم أما السكان الأصليون فلا يعتبرون إلا شعوبا متخلفة وهمجية ، ولهذا كتب

شارل موراسCharles Maurras وموريس باريسMaurice Barres كتابهما عن الجزائر "أحلام المجد Les Rèves de gloire" ، كما قامت الصحف الفرنسية بدور كبير في توجيه أفكار الفرنسيين و مواقفهم تجاه واقع المستعمرات الفرنسية في إفريقيا مثلما نجد في صحف مشهورة مثل " فرنسا العظمىLa grande France أو صحيفة المستعمرات Le - journal des colonies أو العالم الكولونيالي بالصور Le monde coloniale illustré و المكتشف L'explorateur - و حول العالم Le tour du monde.

كما كانت الصحافة الفرنسية تبين أن فرنسا لا يمكنها فرض هيبتها على العالم الغربي المتحضر إلا إذا اعتمدت على مستعمراتها ، و هي محاولة لفرض سياسة القمع على الشعوب المستعمرة و إعطاء كل التسهيلات الممكنة للفرنسيين لغزو المستعمرات .-15 -

وهي أفكار كان لها التأثير الكبير على الكتاب الفرنسيين و المسرحيين ، وبعد ظهور السينماتوغراف كشكل من أشكال السرد و التمثيل و العرض ، بدأت تظهر تجليات تلك الأفكار المسبقة عن المستعمرات الفرنسية و شعوبها .

و يبدو من ناحية أخرى أن تحويل السينماتوغراف إلى سرد الحكايات وزيادة الطلب على العروض السينمائية جعل المهتمين بهذا المجال يركزون على الكم لتلبية طلبات المتفرجين ، لذا وقعت السينما في أزمة الأفلام المنحطة ، و يمكننا أن نصنف بعض أفلام ملياس ضمن هذا الصنف من الأفلام ، و هذا ما يفسر وجود أفلام ذات قيمة فنية دنيا في ربرتوار سينما جورج ملياس و غيره من المخرجين الفرنسيين مع نهاية العقد الأول من القرن العشرين.-16-

كانت أول محاولة لإنقاذ الفن الجديد من السفافة قام بها محامي شركة باتيPathé السينمائية إدمون بونوا ليفي Edmond Benoit Levyو هو كذلك مدير قاعة العروض أومنياOmnia ، إذ استعان بروائيين مشهورين وكذلك

مسرحيين و موسيقيين لتحسين مستوى الأفلام الفرنسية و لكن محاولاته فشلت .-17 -

نفس الفكرة كانت تتخمر لدى الأخوين لافيتLaffitte حيث تمكنا من إنشاء شركة سينمائية أسموها " الفيلم الفني Film d'art" وكلفا شارل لوبارجي Charles le Bargy بتحقيق المشروع ، فاتصل بأعضاء من الأكاديمية الفرنسية ومنهم هنري لافدوHenry Lavedau الذي كتب سيناريو فيلم مقتل الدوق دو غيز Lassassinat du duc de guise" 1908 ، ولقي الفيلم نجاحا كبيرا ، وفتح مجالا جديدا لفن السينما بالاهتمام بالمواضيع التاريخية و الأدبية و الواقعية و كذا الاهتمام بالجانب الشكلي لبناء العرض الفيلمي ، وهكذا كتب جول لومتر Jules Lemaitre "عودة أوليس Le retour d'Ulysse " وأنري لافدو " قبلة يهودا Le Baiser de Judas " .-18- .

ومع أن شركة الفيلم الفني توقفت عن إنتاج الأفلام إلا أن السينما عرفت توجها جديدا في فرنسا ، باعتماد المخرجين السينمائيين على الأدب و المسرح الفرنسي والعالمي ، وأخذت كل من شركتي باتي و غومون Gaumontمسؤولية تزويد القاعات السينمائية بالأفلام ، لذا تعاقدت باتي مع مخرجين مسرحيين لزيادة إنتاجها ، ومنهم ألبير كابلاني Albert Cappelani وهنري بوكتالHenri Pouctal وهنري دي فونتان Henri des Fontainesولوي غاسني Louis de Gasnierوأندري هوزي André Heuzé وكذلك كاميل مورلون Camille de Morlhon، بينما اتصلت غومون بلوي فويادLouis Feuillade الذي توجه إلى الوقائع اليومية في البداية ثم اتجه إلى نوع جديد من الأفلام المتتابعة أي المسلسلات التي جلبت الجمهور إلى قاعات السينما مجددا و بخاصة مع فيلم فونتوماس Fantomas ثم جودكس Judex.-19- -

وفي سنة 1917 أنشأ كاميل دو مورلون جمعية مؤلفي الأفلام Societé des auteurs de films، وانضم إليه هنري بوكتال فأخرج فيلما مقتبسا من رواية ألكسندر دوماس " الكونت مونتي كريستو Comte de monté christo" ثم أتبعه بفيلم آخر مقتبس من مسرحية لهنري كريستميكرز

Henri Kristmaekers " الغريزة L'Instinct" ، في حين طلب لوي فوياد المساعدة من بعض الفنانين لحساب شركة غومون منهم ليون بواريLeon Poirier وهنري فسكورHenri Fescourt وريمون برنار Raymond Bernardوغاستون رافيل Gaston Ravel .
كما ظهرت موجة سينمائية جديدة سنة 1921 على يد جرمين دولاك Germaine Dulac ومارسيل لاربيMarcel L'herbier و جون إبستينJean Epstein أطلق عليها التيار الطليعيAvant garde ، ثم انضم إليهم جون غريميلون Jean Gremillonوديمتري كرسانوف Dimitri Kirsanonoffوجون رونوار Jean Renoirو جون دروفيل Jean Drevilleو كلود اوتان لارا Claud Autant Lara، وهم الذين كونوا المدرسة السينماتوغرافية الفرنسية .-20 -
وما يهمنا هنا أن جل أولئك المخرجين الفرنسيين تعرضوا إلى مواضيع تتعلق بالجزائر المستعمرة وهو ما أطلق عليه السينما الكولونيالية سواء في السينما الصامتة او الناطقة و منهم كاميل مورلون و هنري بوكتال و ليون بواري و ريمون برنار وجون غروميلون وديمتري كيرسانوف و جون دروفيل و جون رونوار و لا ننسى أندري هوجونAndré Hugon ولوي مركونتونLouis Mercanton وجاك دوبارونشيلي Jacques de Baroncelli.
نبدأ بكاميل دو مورلون الذي بعتثه شركة باتي إلى الجزائر لتصوير بعض الأفلام الصامتة القصيرة من بينها "إنتقام قبائليVengeance kabyle " و أولاد نايل Ouled Nail" ثم " في مهمة En mission" و أخيرا " الرهينة L'otage " .أما شركة غومون فقد أوفدت لوي فوياد رفقة روني كلار و جورج بيسكو لتصوير بعض المشاهد المدمجة مع فيلمين هما " الصبيتين Les deux gamines" و " اليتيمةL'orpheline " . -21 -.
و يمكن إحصاء أربعين فيلما صامتا صور في الجزائر أو عن الجزائر من طرف سينمائيين فرنسيين ،نذكر منهم "إبن الليل " لجيرار بورجوا Lefils de la nuit 1921Gerard Bourgeois ثم " الأتلنتيد L'atlantide "

لجاك فيدرJacques Feyder 1921 وهو أشهر فيلم فرنسي في العشرينات ، و يليه مجموعة أفلام منها "وجوه وجوه ملثمة و أرواح مقفلة " Visages voilés ames closes
سيناريو وإخراج هنري روسل Henry roussel " 1921 ، ثم يتبعه " ساراتي الرهيب Sarrati le terrible للوي مركونتون Louis Mercanton 1922 ، ثم يليه فيلم بيار مارودون
الماسة الخضراءLe diamond vert " Pierre Marodon1923 ،
وبعد ذلك يعرض فيلم " أفق الجنوب à l'horizon du sud " لماركو دو غاستين Marco de gastyne 1924 ، وبعده "المغامر L'aventurier"
لموريس ماريوMaurice Mariaud 1924 ثم " أسوار الصمت Les murailles du silence " للوي دو كاربونا Louis de Carbonnat1925 و
" الغطسEn plongée " لجاك روبير Jacques Robert 1926 ثم
" مبارزة Duel " لجاك دو بارونشيلي 1927 و في نفس السنة نجد
" رمالSables " لديميتري كيرسانوف و "الأمير جون Le prince Jean"
لروني إرفيل ، أما في السنة الموالية فنجد " تحت ظل الحريم Dans l'ombre du harem " من إخراج ليون ماتوLeon Mathot و أندري ليابل André Liabel1928 و " الرغبة Le Desir" من إخراج ألبير دوراك Albert Durec 1928 و " رمال خاسفة Les Sables mouvants " لجاك ميلسJack Mills 1929 ، و هذه السنة عرفت خمسة أفلام نذكر منها " الأم كوليبريMamman Collibri " لجوليان دوففييهJulien Duvivier و " البلد Le Bled " لجون رونوارJean Renoir و " السمفونية المؤثرة La Symphonie pathétique"من إخراج هنري إتيفون Henri Etievantوماريو نالباسMario Nalpas وأخيرا " فينوسVenus " للوي مركونتون .
و الملاحظ أن الكثير من السينمائيين الفرنسيين في مرحلة السينما الصامتة أصبحوا من كبار المخرجين العالميين في مرحلة الثلاثينات و الأربعينات أمثال جون رونوار وجوليان دوففييه ، ومع ذلك سقطوا في التفكير الاستعماري ، بتصوير و إخراج أفلام عن البلدان المستعمرة بفكرة الغالب

المستبد ، والإعراض عن تصوير سمات السكان الأصليين ما عدا المقربين من السلطات الإستعمارية مثل شخصية القايد ، و لا يتم التركيز في أفلام تلك المرحلة إلا على العنصر الغربي و الأجنبي بما في ذلك الإسبان و الإيطاليين أو المالطيين ، أو أجناس أخرى تم جمعها في اللفيف الأجنبي .

ولكن أين كان الجزائريون ؟ وماذا كان موقفهم من الفن الجديد ؟

يذكر المؤرخون أن الأخوين لوميار عرضا مجموعة أفلام وثائقية صامتة قصيرة بالجزائر ثم وهران أشهر قليلة بعد أول عرض بباريس أي سنة 1896 ، وبعد أربع سنوات عرفت قاعات مسرحية بالجزائر عروض أفلام خيالية فرنسية من بينها:

1 –الأفنان Les Rameaux

2 – بعث الابن نيم

La Resurrection du fils Neam

3 -رقصة الأفعى La Danse serpentine .-22-

ولم تنشأ قاعات متخصصة للعروض السينمائية إلا في سنة 1908 ، وذلك بالعاصمة ثم بوهران ،ثم اتسعت الرقعة فبنيت قاعات بقسنطينة وسكيكدة ومستغانم وسيدي بلعباس و الشراقة والأربعاء و البليدة ، وقد بلغت عدد القاعات بالعاصمة الجزائرية سبع قاعات متخصصة في العروض السينمائية ، مع وجود قاعات عروض مسرحية .-23-

لم يكن للجزائريين حضور يذكر في تلك القاعات السينمائية كما تؤكده الدراسات والوثائق، وحتى المقربين من الفرنسيين لم تكن لهم ثقافة سينمائية تسمح لهم بارتياد قاعات السينما بصفة منتظمة ، و يمكننا أن نربط العروض السينمائية بالعروض المسرحية لتقارب العرضين ، إذ كلامها يعرض في قاعة مخصصة مع تواجد جمهور ، و بدونهما لا يوجد عروض ، فإذا كان المسرح قديما يعود إلى عشرات القرون و لم يعرفه الجمهور الجزائري ، فكيف سيتمكن نفس الجمهور من متابعة العروض

السينمائية في ظل استعمار لا يولي اهتماما إلا للعنصر الأوروبي من القاطنين بالجزائر ؟
يذكر بعض المؤرخين ومنهم محمد عزيزة في كتابه " المسرح و الإسلام " إن أول عرض عرفه الجمهور الجزائري كان مسرحية قدمتها فرقة مصرية بقيادة سليمان قرداحي سنة 1908 بعد جولة في تونس ، ويبدو أن بعض الأعمال المسرحية عرفت الوجود بعد ذلك ألفها أوروبيون وقدمها جزائريون و لكن الجمهور الجزائري كان قليلا في كل الحالات ، و المهم في ذلك أن المشاهد الجزائري بدأ يتعرف على العروض المسرحية في القاعات المخصصة للعروض أو ما يشبهها ،وكانت زيارة فرقة جورج أبيض المصرية للجزائر و عرضها مسرحيتين بها "ثارات العرب " و "صلاح الدين الأيوبي " سنة 1921 بقاعة الكورسال ذات أثر إيجابي في جعل الجزائريين يهتمون أكثر بالعروض المسرحية . -24 -

ومع أن المسرح في الجزائر بدأ يتدرج في النمو بفضل بعض الجمعيات الثقافية بعروض خاصة في أماكن ضيقة ليست بالقاعات مثلما فعلت جمعية المدية التي أسسها الأمير خالد الجزائري إذ عرضت مسرحية مقتبسة من رواية المروءة و الوفاء لخليل اليازجي ، أما جمعية العاصمة فقد عرضت مسرحية "مكبث" لشكسبير في أحد قصور العاصمة سنة 1912 ، وعرضت جمعية البركانية مسرحية " براد السم " سنة 1913 ، وهكذا عرفت العروض الخاصة العديد من المسرحيات إلى غاية1921 حيث عرض الطاهر علي الشريف رئيس جمعية المهذبية مسرحية بعنوان "الشفاء بعد العناء " في فصل واحد ، وفي السنة الموالية عرض " خديعة الغرام " في أربعة فصول وتلتهما مسرحية "بديع "في ثلاثة فصول سنة 1924
وعرضت تلك المسرحيات في قاعة الكورسال ، بل إن مسرحية " خديعة الغرام" عرضت بقاعة الكورسال و أوبرا الجزائر .-25 -
كما عرضت بقاعة الكورسال مسرحيتان لمحمد المنصالي في ديسمبر 1922 الأولى " في سبيل الوطن " و بعدها بسنة عرضت المسرحية الثانية

" فتح الأندلس " وتحديدا في شهر جوان 1923 و لكن المتفرجين كانوا قلة في كل تلك العروض – 26 -
ويمكن اعتبار يوم 12 أبريل 1926 بداية العروض المسرحية الجزائرية ، إذ قدم المسرحي سلالي علي المدعو علالو مسرحية " جحا " بقاعة الكورسال حضرها 1500 متفرج-27 - وبداية من هذا التاريخ بدأ الجزائريون يتابعون ما يجد من عروض مسرحية ، و بخاصة أنها كانت تعرض باللغة العربية الدارجة ، مما يظهر بداية اهتمام الجزائريين بالعروض الفنية كيفما كانت طبيعتها ، إذ أحسوا أنهم ليسوا أقل شأنا من ذلك الأوروبي الذي كان يحتكر كل ما يتعلق بالفن ، وذلك بالرغم من أن أوبرا الجزائر العاصمة ووهران يعود تاريخ بنائهما إلى نهاية القرن التاسع عشر ، بيد أن الأوروبيين كانوا يعتبرون العنصر الجزائري غير قادر على الإبداع أو فهم الإبداع .

كان النجاح الذي لقيته مسرحية جحا دافعا قويا لفرقة زاهية التي يترأسها علالو للذهاب بعيدا في المغامرة المسرحية ، و هكذا كتب علالو و أخرج مسرحية كوميدية أخرى "زواج بوعقلين " و عرضت بقاعة الكورسال في أكتوبر 1926 ، وتلتهما " أبو الحسن النائم اليقظان " التي عرضت بقاعة الأوبرا في مارس 1927 ، و في نفس السنة يقوم مسرحي آخر بعرض أول أعماله وهو رشيد قسنطيني مع " العهد الوفي " 1927 ، ثم تلتها " زواج بوبرمة " لنفس الممثل و المخرج و عرضت في مارس 1928 . -28 -

قد يتبادر إلى الأذهان السؤال عن علاقة السينما بالمسرح الجزائري ، فالعلاقة وطيدة إذ لم تكن السينما إلى غاية الأربعينات من القرن العشرين إلا مسرحا مصورا ، و كان المسرح الفرنسي الخزان الكبير للسينما الفرنسية سواء من حيث المخرجين أو النصوص أو الممثلين ، و لا يمكننا أن نتصور حركة سينمائية في أي بلد كان دون خزان من الممثلين المسرحيين ، لذا لما ظهر المسرح الجزائري إلى الوجود كان بإمكان الجزائريين إيجاد سينما جزائرية على غرار بعض الدول العربية ، غير أن المستعمر الفرنسي أخر

ظهور العديد من الفنون بمنع الجزائريين من إظهار مواهبهم ، و لولا تضحية الكثير من الفنانين بحياتهم من أجل وجود بعض الفنون لما وجدت أصلا .
و هكذا بدأ الجزائريون يرتادون قاعات السينما بداية من 1933 ، وهم عادة من الشباب الباحث عن الترفيه في المدن الكبيرة ، وبدأت تنتشر في أوساط الجزائريين بعض العروض السينمائية و ذلك في أماكن مكيفة بآلات عرض 16ملمتر و قد بلغ عددها أكثر من 70 دارا لعرض ، و على النقيض من ذلك كان الأوروبيون يتمتعون بعروض رسمية في قاعات مجهزة بلغ عددها بداية الخمسينات 300 قاعة .
و ما شجع الجزائريين أكثر على متابعة الأفلام السينمائية العالمية انفتاح السوق الجزائرية على الأفلام المصرية بداية من 1940 ، و بذلك كان تشجيعهم كبيرا للفن العربي الذي تتصدره مصر ، بل كان إعراضهم كبيرا عن الأفلام الفرنسية و بخاصة التي صورت في شمال إفريقيا و الجزائر .-29 -
وبداية من 1950 ضاعفت السلطات الاستعمارية الضرائب على الأفلام المصرية مما جعل الجزائريين يتابعون بشغف كل ما يعرض بقاعات السينما من أفلام مصرية , بخاصة أفلام الموسيقار محمد عبد الوهاب ، و كذا أفلام صلاح أبو سيف أو كمال سليم .-30 -
وحين أدرك الفرنسيون أهمية الصورة في نفوس الجزائريين سعوا إلى إنشاء مصالح خاصة لإنتاج و عرض أفلام وثائقية دون الأفلام الخيالية و السعي لعرضها على السكان الأصليين في الأماكن البعيدة أي المدن الداخلية و القرى النائية ، و كانت جل تلك الأفلام الوثائقية دعائية تسعى لكسب الولاء للسلطات الفرنسية ، وإظهار ما قام به المعمرون و السلطات الفرنسية من منشآت وإنجازات عمرانية و اقتصادية .ففي 1946 ظهرت مصلحة البث السينماتوغرافي ، وفي نفس السنة ظهرت المصلحة الجزائرية للسينما ، إذ عرضت المصلحتان ما يربو عن 786 شريط وثائقي إلى غاية 1948 ، أما في المدن الكبيرة فقد أنشأت مصلحة السينما التربوية بالجزائر التي تخصصت في

عرض الأفلام الخيالية بالمؤسسات التعليمية ، وهذا يعني المدن التي بنيت فيها مؤسسات التعليم الثانوي .-31 -
و بهذا يتجلى لنا عجز الأوروبيين المقيمين في الجزائر عن تأسيس سينما نابعة جغرافيا من الجزائر ، وذلك لجدة الفن ، و تمركز آلياته في العواصم الأوروبية كباريس و برلين ولندن و هوليوود بأمريكا ، وأن الأوروبيين في الجزائر الأكثر حظا للوصول إلى الإبداع السينمائي لم يتمكنوا من إخراج أفلام وثائقية ذات مستوى فني رفيع ، بل كان أقصى ما وصلوا إليه أفلام هواة صورت بكاميرات 16 مليمتر .-32 - ومن ناحية التمثيل فقد أثبت الكثير من الممثلين الجزائريين قدرتهم على التمثيل السينمائي ، وبخاصة بعد ظهور المسرح في بعض الأوساط الثقافية الجزائرية ، فمع بداية العشرينات بدأنا نشاهد بعض الوجوه العربية و الجزائرية في قائمة الممثلين السينمائيين ، منهم عبد القادر بن علي ومحمد بن نوي في فيلم " الأتلنتيد " لجاك فيدر 1921 ، أو كبير لفتر وبوسعادي وتركية بنت علي في فيلم " الرغبة" من إخراج ألبير دورك 1928 ، طاهر حناش في فيلم " رمال خاسفة " لجاك ميلس 1929 ، وكذلك براردي عيسى و الحاج بن ياسمينة في فيلم " البلد " لجون رونوار 1929 ، أو كايسة روبا وطاهر حناش في "صليب الجنوب " لأندري هوجون 1931La Femme et le ، ويتكرر إسم كايسة روبا في فيلم "المرأة و العندليب rossignol " بمعية حبيب بن قلية و آية ياسمينة والفيلم من إخراج أندري هوجون كذلك ، وهناك فيلم آخر لنفس المخرج " " الرمال الخاسفة" شاركت فيه كايسة روبا .

كان الحبيب بن قلية أشهر ممثل ، ونظرا لسمرة بشرته اعتبر لمدة طويلة من أصل إفريقي ، إلا أنه جزائري ولد بوهران 1890 ، هاجر في سن مبكرة إلى فرنسا ، و نظرا لصوته الجذاب و فصاحة لغته الفرنسية فقد امتهن الغناء- الموزيك هول Music hall " قبل الحرب العالمية الأولى ، ثم انتقل إلى المسرح ، وعرج على الملاكمة ، ما ساعده على إجادة التمثيل السينمائي بعد ذلك ، وأول فيلم شارك فيه " ياسمينة "1926 ،

و تليه فترة من الفراغ لنجد اسمه على عارضة بعض الأفلام منها "المرأة و العندليب " لأندري هوجون 1931 ثم " بطل الملاكمة " 1935 و " سنذهب إلى تومبوكتو " و" غرائب باريس " 1935 .
ونذكر كذلك " رواية صباحي " و " أسرار البحر الأحمر " و " رجل من النيجر " 1938 ، وكذا " أبناء الجنة " لمارسيل كارني 1944Marcel Carné و أيضا " راقصة مراكش La Danseuse de Marrakech "لليون ماتو 1949 Leon Mathot ، وكانت وفاة حبيب بن قلية سنة 1960 .-33 -
و لا ننسى الموسيقار الجزائري محمد إغربوشن الذي ألف موسيقى فيلم "بيبي الموكو " لجوليان دوففييه 1937 ، وكذا فيلم " ماريا بيلار " لبيار كاردينال 1951 ، الذي شارك فيه الممثل الجزائري حيمود براهيم .-33 -
كما شارك رائد المسرح الجزائري محي الدين باش طرزي في فيلم " إخوة إفريقيا " للمخرجة إيمي نافارAimée Navarre 1940 ، وشارك باش طرزي أيضا في فيلم فرنسي آخر صور في المغرب " كنزيKenzy "من إخراج فيكي إيفرنال Vicky 1947-Ivernel ، و قد قام باش طرزي بكتابة سيناريو الفيلم بمعية إيف ميراند Yves Mirande باقتباس مسرحية لهذا الأخير بنفس العنوان ، و كان من ضمن الممثلين إلى جانب باش طرزي الممثل الجزائري محمد توري ، ومن الأفلام التي مثل فيها محمد التوري أيضا " معروف حلاق القاهرة " من سيناريو و إخراج جون مورون Jean Mauranالمقتبسة من حكايات ألف ليلة و ليلة ، أما باش طرزي فقد مثل في فيلم "أنشودة لمريمSerenade à Myriem " بمعية جمال بدري سنة 1947 و كان الإخراج لنوربر جرنول Norbert Gernolle.-34 -
كما نجد الممثلة الجزائرية كلثوم تشارك في فيلم لأندري زووبادا André Zwobada "الباب السابع " La Septieme porte 1947 " ، و مع نفس المخرج يقوم حيمود براهيمي بأداء أحد الأدوار الثانوية في فيلم " زفاف الرمل Noces de sable" 1948 .

أما الفيلم الفرنسي الحافل بالأسماء الجزائرية فهو " زيتون العدالة " لجيمس بلو ، فمن جانب التصوير نجد وكيل بوبكر ، أما الممثلين فنجد س. عشايبو ، م . بنور , فاطمة مختاري ، أ . موحاحسين ، ب . سكال ، م . سماعيلي .-35 -

طاهر حناش من رواد السينما في الجزائر:

يعكس الفنان الجزائري طاهر حناش أو بلحناش بحق مدى حرمان الجزائريين من إظهار قدراتهم الإبداعية في عصر الاستعمار الفرنسي ، و أنهم ليسوا أقل شأنا من غيرهم من الشعوب الأخرى التي عرفت فن السينما ، و لولا حرصه الشديد و ملازمته لكبار المخرجين الفرنسيين لما تمكن من دخول عالم السينما .



الطاهر حناش أو بلحناش

حناش الطاهر ولد بقسنطينة1898 ، اهتم منذ صغره بالميكانيك و الاختراعات الجديدة التي عرفها القرن العشرون ، و شهد بناء أول قاعة سينمائية في قسنطينة سنة 1908 و كان فضوله كبيرا فأخذ يسأل عن حقيقتها'

يصل طاهر حناش إلى مدينة ليون الفرنسية سنة 1920 باحثا عن العمل ، ثم ينتقل إلى باريس ويدفعه فضوله لأخبار السينما وصانعيها إلى التجول الدائم قرب استديوهات التصوير ، وفي سنة 1922 يتعرف على أحد المخرجين الذي يبحث عن ممثلين عرب فيطلب منه العمل معه .
ويذكر أحد الصحفيين إن أول فيلم شارك فيه طاهر حناش هو " الأتلنتيد " لجاك فيدر ، غير أن هذا الفيلم صور سنة 1921 أي سنة قبل دخول حناش إلى الأستديوهات الباريسية ، كما أن جنيريك الفيلم لا يورد إسم الممثل الجزائري .-37 -
و يحتمل أن يكون حناش قد التقى أول الأمر بالمخرج الأمريكي ريكس إنغرام Rex Ingram الذي صور فيلم " العربيThe Arab " في البداية ثم "جنة الله The Garden of Allah" 1926 .
ثم كان اللقاء مع المخرج الفرنسي الجزائري المولد أندري هوجون مع أول فيلم مثل فيه "ياسمينة " 1926Yasmina ثم "الصديقة العزيزة1926 " لماكس دو ريو Max de Rieu ، ولنفس المخرج نجد "إبنة العمة بيت La Cousine Bette" 1927 و أخيرا " أنا مصاب بالأسود " 1928 .
كما شارك في فيلم "الترنساتلنتيكTransatlantique " 1927 للبيار كولومبيPierre Colombier ، و "تربية أمير Education de prince"1927 لهنري ديامون برجيHenri Diamond Berger.وآخر فيلم صامت شارك فيه حناش كان " رمال خاسفة " 1929 لجاك ميلس .وأول فيلم ناطق شارك فيه حناش كان "تظاهر – Chiqué 1930 لبيار كولومبي ،ثم عاد للعمل مع أندري هوجون في مجموعة أفلام منها " صليب الجنوب Croix du sud " 1931 "موران دي مور Maurin des Maures "1932 و " البحار الشهير L'illustre Marin" 1933 المقتبسين عن روايتين للروائي جون أيكار Jean Aicard.
وأشهر فيلم شارك فيه حناش " البنديرا La Bandera" 1935 لجوليان دوففييه مع جون غابان Jean Gabin ، عن رواية لبيار ماك أورلون

Pierre mac Orlon، وفي الجنيريك لا يوجد إسم طاهر حناش ، كما في الأفلام السابقة أيضا ،ما عدا فيلم جاك ميلس و لعل مشاركة حناش كانت رمزية .



مشهد من فيلم لطاهر حناش

حين نتصفح فهارس الأفلام الفرنسية التي شارك فيها طاهر حناش كمصور أومساعد للتصوير في السينما نجد القائمة طويلة ، فالأفلام التي ورد فيها إسم حناش كمصور هي كالتالي:

- "رجل عصابات رغما عنه Gangster malgré lui" 1935 ، وفي نفس السنة نجد " الجائزة الكبرى لكورونمبويسLe gros lot de Cornembius " و " أزفة الأنسة ليفيLes marriages de mademoiselle Levy " 1936 و الأفلام الثلاثة من إخراج أندري هوجون ، أما "مساء العاصفة Soir d'orage " وهو فيلم قصير للمخرج الإيطالي جيوسيبي غوارينو Giuseppi Guarino 1935.
- " حدثت جريمةUn meurtre à eté commis " لكلود أورفال Claude Orval 1937 ، و " السيد بيغونيا Monsieur Begonia" لهوجون في نفس السنة ، ثم " " رجال الفريسة Les hommes de proie" من إخراج ويلي

روزي Willy Rozier ، و " ساراتي الرهيبSarrati le terrible " و شارع بلا فرح La rue sans joie " وكلاهما لهوجون .



المخرج الفرنسي أندري هوجون

- أهل الغد Ceux de demain" لجورج باليGeorge Pallu بمعية المخرج الشيلي 1891 -1956 أديلكي مغليار Adelqui Migliar، كما نجد في نفس السنة " أمير قلبي Prince de mon Coeur " لجاك دانيال نورمون Jacques Daniel -Norman و كذلك " فيرمن دو سان باتاكلي Firmin de Saint Pataclet " لجاك سيفراك Jacques Severacوقد عرضت هذه الأفلام على الجماهير سنة 1938 .



أندري هوجون على اليسار

-أما أشهرالأفلام في مرحلة الثلاثينات فكان " مولان روج Moulin rouge" لأندري هوجون 1938 .
ومن حيث التمثيل فقد شارك طاهر حناش في عدة أفلام فرنسية ، و للأسف لم يتم إدراج اسمه في كثير من لافتات الأفلام ، ومع ذلك يرد اسمه في فهارس السينما والمؤلفات الخاصة بتاريخ الفنون و نذكر منها :

1 –"أبناء الشمس Les fils du soleil " إخراج روني لوسومبتي René le Somptier 1929 .

2 -" جماعة القراصنة Pirates et compagnie" لمرسيل بوتيMarcel Bothier و نويل رونار Noel Renard1930

3 –"تجار الرملMarchands de sables " و " صليب الجنوب Croix du sud" 1931 لأندري هوجون .

4 – "سيدوني باناش Sidonie Panache" من إخراج هنري ويلشليغرHenri Wulschleger 1934 .

ويمر حناش بمرحلة ركود إلى غاية 1940 حيث يطلبه مارسيل بانيول للمشاركة في تصوير فيلمه "إبنة حافر الآبار La fille du puisatier" ، و في نفس السنة يشارك في تصوير فيلم " الفينوسة العمياء La Venus



aveugle " لأبل غانس Abel Gance ، غير أن ظروف الحرب العالمية الثانية أصابت العمل السينمائي بركود كبير ، و بعد نهاية الحرب قام طاهر حناش بتصوير آخر فيلم روائي بالمغرب " إبن القدر " للفرنسي مارك مالاراكيMarc Maillaraki 1946 .

ويعود بعد ذلك إلى الجزائر ، ليؤسس شركة إنتاج أفلام وثائقية، وهكذا يوظف إمكاناته التصويرية في إخراج فيلمين متميزين " قسنطينة سيرتا القديمة " 1950 ، و " غطاسي الصحراء " 1952 - 38 –لا يمكننا التأكد من تاريخ صدور الفيلمين ، غير المقال الذي كتبه جون سيناك عن فيلم حناش غطاسي الصحراء ورد بتاريخ 1953 في مجلة فنون و آداب – و المقال بعنوان " غطاسي الصحراء لطاهر حناش "-Arts et Lettres 39 – يدل على أن صدور الفيلم كان في مرحلة قريبة ، كما تذكر بعض المصادر أن طاهر حناش تمكن من إخراج العديد من الأفلام الوثائقية قبل الفيلمين الأخيرين " قسنطينة " و "غطاسي الصحراء " ولكن للأسف لا يوجد ما يؤكد هذه الحقائق أو يفندها ، و بالتالي تبقى عناوين لأفلام مفترضة



مشهد من نفس الفيلم لحناش

و منها ، "بور ليوتي " " و " رجل الجنوب " ، و " أغاني بدوية " و " درب الحروب الصليبية " أما فيلمه الوثائقي " على أبواب الصحراب "

فتفترض بعض المصادر أنه صور سنة 1938 ، و هي مرحلة سابقة لإنشاء الشركة الخاصة طه فيلم ، وبالتالي يبدو مستبعدا أن يكون طاهر حناش قد أخرجه في هذه الفترة المتقدمة.-40ويظهر جليا أن الفيلم الأخير"غطاسي الصحراء " كان أكثر أفلام طاهر حناش اكتمالا من الجانب الفني ، و لكنه لا يعدو أن يكون فيلما قصيرا لا يتجاوز العشرين دقيقة -41-، وبهذا قد تكون الأفلام السابقة أقل طولا زمنيا ، فهي أقرب إلى الأخبار الوثائقية منها إلى الأفلام الوثائقية المتكاملة .

وهذا يدل بصفة قطعية أن طاهر حناش لم يجد حركة سينمائية خاصة بالمعمرين الفرنسيين بالجزائر ، و جل الأعمال السينمائية التي شارك فيها كانت لمخرجين فرنسيين ، كما أن الشركة التي أسسها كانت تهتم بالأفلام الوثائقية دون الخيالية .

ومن المؤكد أن حناش استفاد من تجربته السينمائية الفرنسية مما جعله يفكر في إنتاج أفلام جزائرية ، وبالتالي تكون أفلامه الوثائقية أولى الأفلام السينمائية الجزائرية قبل اندلاع الثورة التحريرية ، كما أن أحد تلامذته و قريبه جمال شندرلي كان من مؤسسي السينما الجزائرية أثناء الثورة ، و قد لازمه منذ 1942 ، و مثل في فيلم "غطاسي الصحراء " ، إذ جمع طاهر حناش في هذا الفيلم بين العرض الوثائقي و بين سرد الأحداث ، وكان من بين الممثلين أيضا حيمود براهيمي ، و لكن المخرج فضل صوت المعلق على حوار الممثلين ، و ربما يرجع ذلك أساسا إلى نقص إمكانات تسجيل الصوت ، و لهذا ظهر الفيلم أشبه بالفيلم الوثائقي منه بالفيلم الخيالي ، وبهذا يعد بحق أول محاولة لإنجاز فيلم روائي خيالي في تاريخ السينما في الجزائر . و في سنة 1954 كان طاهر حناش ضمن الفنانين الذين استدعاهم التلفزيون الفرنسي لتصوير مجموعة أفلام قصيرة ناطقة باللغة العربية الدارجة ليتم عرضها على الجزائريين المسلمين ، وقد تم أول بث للتلفزيون بالجزائر في نهاية 1955.

وبعد استقلال الجزائر ، قام طاهر حناش بمهمة تسيير الإنتاج التلفزيوني ، فالقطاع الجديد كان يشكو من التقنيين ، فكل الفرنسيين رحلوا تاركين

المهمة الصعبة لبعض الجزائريين ، الذين تمكنوا بذكاء مواصلة البث التلفزيوني رغم المشاكل التي واجهتهم ، و بعد ذلك قام طاهر حناش بتوجيه مجموعة من التقنين في مجال التصوير و منهم عادل نورالدين و يوسف صحراوي و غيرهم ، و كانت وفاته سنة 1972 .

وبهذا يبقى طاهر حناش أحد السينمائيين الجزائريين المغمورين ، لأن الاستعمار غطى كل الطاقات المبدعة ، ولولا إصراره لما تمكن أن يقف أمام أو وراء الكاميرا ، لأنها مهن كانت محتكرة من طرف الأوروبيين و المعمرين ، بل إن فيلمه " غطاسي الصحراء " لقي إعراضا من طرف العاملين في حقل توزيع الأفلام ، مع أن عدد قاعات السينما كان يفوق 300 ، و السبب يرجع أساسا لكون الفيلم من تصميم مجموعة من الجزائريين ، و لم يشفع لحناش عمله في حقل السينما الفرنسية منذ ثلاثين سنة .

أثر الأدب الفرنسي في السينما :

إن السينما الفرنسية ذات المحتوى الكولونيالي نشأت مع بداية السينماتوغراف في نهاية القرن التاسع عشر ، وبالتحديد مع جورج ملياس في أفلام مثل المسلم المضحك 1897 أو علي باربايو 1907 أو شبح الجزائر 1908 ، مع العلم أن جورج ملياس لم يزر الجزائر ، بل إن تلك الأفلام لم تكن حقيقية بل خيالية صورها المخرج في إستديو خاص مع ممثلين ، على عكس فلكس مسغش مصور شركة لوميار للسينماتوغراف الذي جاب أنحاء بعيدة كي يصطاد بعض الصور تشكل موضوعات حية لأفلام لوميار ، تصبح بذلك أفلام لوميار أفلاما وثائقية تخضع للأحداث الحقيقية التي يعايشها المصور أما أفلام ملياس فهي خيالية تخضع لرؤية المخرج و المؤلف ، فكيف نفسر وقوع جورج ملياس الباريسي في خلفية معادية للعنصر العربي بحيث دفعه إلى تجسيد رؤياه على شكل أفلام و عرضها على الجمهور ؟

لا يمكننا التعرف على وجهة نظر جورج ملياس إلا بتتبع أفلامه ذات المحتوى الشمال إفريقي ، و من بينها فيلمه " ترتران من تراسكون Tartarin de Tarascon " المقتبس من رواية لألفونس دوديAlphonse Daudet بنفس العنوان نشرت سنة 1872، و هي الرواية التي أثرت في القارئ الفرنسي ، بل غيرت وجهة نظره نحو المغرب العربي ، أي فكرة سحر الشرق و جماله ، و فكرة العجائبية التي رددها كل من ثيوفيل غوتيي أو الأخوين غونكور و كذلك أوجين فرمنتان بل غوستاف فلوبير نفسه ، أراد ألفونس دودي أن يكسر تلك النظرة الرومنتيكية للشرق ، بأخرى واقعية و لكنها مليئة بالتهكم و السخرية ، إلى درجة أن تحولت السخرية إلى طعن في شخصية الجزائري في تلك المرحلة من الإستعمار .-42 –

رواية ترتران دو تراسكون اهتم بها الكثير من المخرجين الفرنسيين من بينهم ملياس في السينما الصامتة ، و حين أصبحت ناطقة قدمها ريمون برنار Raymond Bernardإلى المشاهدين سنة 1934 ، ثم حاول فرنسيس بلانش Francis Blanche تحديثها لتتناسب مع تطورات القرن العشرين سنة 1962 .



مشهد من فيلم ترتران دو تراسكون

و قد شارك مارسيل بانيول Marcel Pagnol في فيلم ريمون برنار بكتابة حوار القصة المقتبسة عن ألفونس دودي ، و قد سعى المخرج و كاتب السيناريو للحفاظ على القصة مثلما كتبت في الرواية ،وبهذا يمكن التأكيد على أن الأدب الفرنسي لم يكن بمعزل عن الأفكار المسبقة التي ظل يحملها الفرنسيون للمغرب العربي ، و السينمائيون لم يكونوا بدعا عن هذه الأفكار المسبقة التي تجعل من العربي العدو الحقيقي للحضارة الغربية ، بل إن ألفونس دودي يلمح للفكرة في نهاية روايته ، متناسيا أن البطل هو الذي انتقل إلى الجزائر ، وبالتالي هو الجاني .



مشهد من فيلم الأتلنتيد لبابست

وفي سنة 1921 يتنقل المخرج جاك فيدر Jacques Feyder إلى منطقة الهقار بالصحراء الجزائرية صحبة فريقه التقني رغم التحذيرات ، والهدف من الرحلة تصوير فيلم " الأتلنتيد " ، و كانت المغامرة ناجحة فقد جذب الفيلم جمهورا غفيرا من المشاهدين بالرغم من طوله ، و ظل يعرض في القاعات لمدة سنة كاملة ، بل إن الفيلم لقي نجاحا كبيرا خارج فرنسا ، مما دفع بالعديد من المخرجين إلى إعادة تصويره بلغة جديدة و ممثلين جدد ، و بخاصة بعد أفول السينما الصامتة ، ومن بين المخرجين الذين أعجبوا بالفيلم الألماني جورج ولهلم بابست Georg Wilhelm Pabstو قد حافظ المخرج على نفس العنوان " الأتلنتيد " 1932 ، وكذلك إدغار جورج إلمر Edgar

George Ulmer 1961 ، أو فيتوريو كوتافافي VittorioCottafaviالإيطالي الذي اقتبس نفس القصة مع بعض الإضافات و فيلمه "هرقل يجتاح الأتلنتيدHercule à la conquete de l'atlantide " صور سنة 1962 ، أما جون كيرشبرون Jean Kerchbronفيخرج" الأتلنتيد " سنة1972 ، وبنفس العنوان كذلك و مع الكثير من الإضافات أخرج بوب سويم Bob Swaim فيلما عن نفس القصة 1992 . -43-

هذه الحالة تختلف جذريا عن الحالات السابقة ، فالفيلم الذي أخرجه في البداية جاك فيدر لقي نجاحا كبيرا ، و قد صور في الجزائر و عن الجزائر ، فكيف نفسر هذه الحالة ؟

و الجواب أن سيناريو الفيلم مقتبس من رواية لأديب فرنسي ، كتب روايته الأولى" كونيغسمارك koenigsmark"1918 و في السنة الموالية كتب روايته الثانية " الأتلنتيد " ، ولقيت شهرة كبيرة إلى درجة أن بلغت عدد نسخها ما يقارب المليونين نسخة ، ومن العنوان يتجلى لنا أن الرواية تتأرجح بين الأسطورة و الواقع ، فالأتلنتيد هو الجزيرة اليونانية المفقودة ، أو الفردوس المفقود عند الغربيين ، كما أن ملكتها هي أنتينيا إبنة نبتون ، ولكن القصة تجري وقائعا في زمن يحادي زمن كتابتها ، و هذا ما جعل القارئ في البداية و المشاهد بعد ذلك يعايش بفضول أحداث القصة ، وذلك لوجود جنديين فرنسيين سانت أفيل وموررونج ووقوعهما في أسر الملكة أنتنيا ، فالقصة تربط بين عالم الصحراء الجزائرية الساحر التي قال عنها الناقد الفرنسي لويس دوليكLouis Deluc أنها كانت البطل الحقيقي في الفيلم ، وبين الجيش الفرنسي ، ولأن الروائي كان فرنسيا أي من طبقة المنتصرين المعمرين فقد ربط ملكة الصحراء تينهينان بأنتنيا ، محاولا بذلك نزع كل هوية للشعوب التي تعيش في الصحراء الجزائرية .-44 -
ولد الروائي الفرنسي بيار بونوا بألبي بفرنسا سنة 1886 ، ولكنه مكث مدة طويلة في شمال إفرقيا في تونس أولا صحبة والده العقيد في الجيش الفرنسي ، ثم التحق بالجيش في الجزائر إلى غاية 1907 -45 -

وبعدها رجع إلى باريس ، واشتغل بالسياسة إلى غاية 1918 سنة صدور أول رواية له ، ومنذ ئذ بدأت جهوده الروائية تتصاعد بكتابة رواية واحدة كل سنة إلى غاية وفاته سنة 1962 أي أنه كتب ما يزيد عن أربعين رواية ، كلها تصنف ضمن رواية المغامرات و الغرائبية التي انتشرت بين الكتاب الفرنسيين مع نهاية القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين .- 46 -

إن طابع المغامرة و الخيال الأسطوري هو سبب نجاح رواية الأتلنتيد و الفيلم كذلك ، و بخاصة أن العالم الغربي عاش مرحلة رهيبة أثناء الحرب العالمية الأولى ، فكان هذا النوع من الروايات يجلب القراء لأنه يبعدهم عن الواقع المحزن و المخيف .بهذا تصنف رواية الأتلنتيد ضمن الأدب الفرنسي ، وهي موجهة للقارئ الفرنسي و لا تعني القارئ الجزائري في شيء ، ونفس الشيء يقال عن الفيلم ، بالرغم من انبهار المشاهد الفرنسي بمشاهد الصحراء و الرمال الساحرة ، غير أن الملفت للانتباه أن الروائي بيار بونوا الذي عاش في الجزائر و تونس لم يلق بالا لمن يعيشون حوله من السكان الأصليين ، و هذا موقف الأدباء الفرنسيين قبل السينمائيين ، إذ كانت جل السيناريوهات التي كتبت للسينما الفرنسية عن مواضيع المستعمرات الفرنسية مقتبسة عن روائيين فرنسيين مشهورين أو أقل شهرة ، وبهذا فإن الأدب الفرنسي كان منبع الأفكار المحرفة التي ساهمت السينما الفرنسية في نشرها عبر رسائل الافلام .

وهكذا إذا تتبعنا الأفلام الفرنسية بداية من مرحلة السينما الصامتة إلى غاية آخر فيلم صور في الجزائر وبالتحديد سنة 1962 ، نجدها تتكأ على الأدب الفرنسي و بخاصة الرواية منه، وبنسبة أقل القصة القصيرة و الأعمال المسرحية ، فمن بين الأفلام المعتمدة على الرواية نجد " ساراتي الرهيبSarrati le terrible " من إخراج لويس ميركانتون Louis Mercanton 1922 المقتبس من عمل روائي لجون فينيو Jean Vignaud، وقد أعاد تصويره أندري هوجون André Hugonسنة 1937 بنفس العنوان ،

و ثاني عمل روائي لجون فينيو " منزل المالطي La Maison du maltais " و هو اسبق في الكتابة من ساراتي الرهيب ، و قد حوله
هنري فيسكور Henri Fescourt إلى فيلم سينمائي صامت سنة 1926 ، ثم أعاد إخراجه بيار شونال Pierre Chenal سنة 1938 ، ومن أشهر روايات جون فينيو "فينوس Vénus" وقد أخرجه لويس مركونتون سنة 1928 ، أما آخر رواية له حولت إلى السينما فقد كانت " الريح السامي Haut leVent " جاك دو بارونسيلي Jacques de Baroncelli 1948 .
وقد ركزت رواية جون فينيو " ساراتي الرهيب " على تصوير واقع المعمرين و العمال الجزائريين بميناء الجزائر ، قصة سيزار ساراتي مع عمال الميناء و مع حفيدته وعشيقها ، و على هذا الأساس حاول فينيو أن يرسم لنا مظاهر الحياة في الجزائر بمنظور المعمرين ، وهو في ذلك لم ينف وجود الجزائريين ، و لكنهم أشبه بالديكور المناسب لقصة



فيلم ساراتي الرهيب

درامية غربية . و في نفس المسار يتجه كل من جون بوميرول Jean Pommerol في روايته " الرغبة Le Désir " التي حولها ألبير دورك Albert Durec إلى فيلم سنة 1928 ، أو ليو دوران Leo Duran في روايته "

السمفونية المؤثرة Symphonie pathétique " المقتبسة للسينما من طرف المخرجين الفرنسيين هنري إتيفانHenri Etievant و ماريو نالباس Mario Nalpas 1929 ، ويمكن أن نذكر أيضا جورج أندري كويل George André Cuel مع نصه "تجار الرملMarchand de sable " الذي حوله أندري هوجون إلى فيلم سينمائي ناطق سنة 1931 ، وفي نفس التوجه نذكر أيضا الروائية آن ماري ديماريست Anne Marie Desmaretsو روايتها المشهورة " السيول Torrents " التي اخرجها سيرج دو بوليني Serge de Poligny، أو الروائية سوزان بيرو Suzanne Pairaud برواية " عطش الرجال La Soif des hommes " من إخراج سيرج دو بوليني أيضا سنة 1949 .



فيلم سيدوني باناش

ومن الروائيين المشهورين بول أشار Paul Achard من مواليد الجزائر 1897 ، و أحد أنصار المدرسة الجزائرية في الأدب الفرنسي ويظهر هذا جليا في روايته "سلاويتش Salaouetches " ، - 45 - غير أنه لم يمكث بالجزائر

و استقر بفرنسا ، و جلبت روايته "صليب الجنوبCroix du sud " اهتمام المخرج أندري هوجون سنة 1931 ، وبهذا بدأت مغامرته مع السينما ككاتب سيناريو و حوار و أيضا كممثل في فيلم وحيد " تجار الرمل " لأندري هوجون 1931 ، و من رواياته المقتبسة للسينما نجد " بطل المارن Le héros de la marne " لأندري هوجون 1938 ، و كذلك " قضية النزل الكبير L'affaire du grand hotel " لهوجون كذلك 1945 .
إن رواية "صليب الجنوب " تطرح فكرة عالجها الكثير من الروائيين وبالتالي السينمائيين ، وهي استحالة التعايش بين السكان الأصليين للمستعمرات الفرنسية و بين العنصر الأوروبي الوافد إليها ، وهي نفس الفكرة التي طرحها بيار بونوا ضمنا في روايته "الأتلنتيد " ، ويتجلى ذلك من خلال علاقة غرامية بين أحد الترقيين من سكان الهقار الجزائري و فتاة فرنسية مادلين ، إذ أنقذ الترقي الفتاة من قطاع الطرق فتقع في حبه و يقرران الزواج ، و لكن الفارس الترقي يتخلى



المنبوذون لجاك سيفراك

عن زوجته ليعود إلى داسين الشاعرة الترقية ، و بهذا يثبت للمرأة الأوروبية استحالة توافقه مع حضارتها ، و هو في نفس الوقت رفض للآخر الأوروبي .
يتفق معظم النقاد السينمائيين أن فيلم اندري هوجون " صليب الجنوب "يصور رفض العنصر العربي للحضارة الغربية ، وبالتالي تأكيد الفوارق بين الأوروبيين و السكان الأصليين ، كما أن موقف الفارس الترقي الرافض للبقاء مع مادلين الفرنسية هو رفض للحضارة و الإصرار على البقاء في ظل التقاليد و العادات القديمة التي ترمز للجهل و التخلف ، و هي نفس الفكرة التي تحملها الرواية قبل الفيلم ، و بهذا لم يخرج بول أشار العارف بأحوال الجنوب الجزائري عن الموقف السائد عند الروائيين الفرنسيين البعيدين عن الجزائر .
و يعتبر أندري أرماندي André Armandy 1882-1958 ، من روائيي فترة ما بين الحربين العالميتين ، و اشتهر بروايات المغامرة و أطلق عليها أيضا الرواية الشعبية ،كان أبوه ضابطا في الجيش الفرنسي ، و في سنة 1902 التحق بالجيش بدوره ، و ربما كان ذلك سببا في دفعه إلى الكتابة القصصية في البداية ثم الرواية بعد ذلك ، بطريقة تشويقية تجلب القراء الراغبين في الحلم بالمغامرة ،
ودائما تحت غطاء أبطال الجيش الفرنسي في البلاد المستعمرة أو ما أطلق عليه " اللفيف الاجنبي " ، فكانت روايته " المنبوذون Les Réprouvés"1926 ، و " المارقLe Renégat "1929 .ومن رواياته المشهورة " الشيطان الأزرق " Le Démon bleu 1925، و" جزيرة المرجان L'ile de corail"1925 ، و لكن شهرة "المنبوذون " كانت أكبر ، وذلك راجع إلى الموضوع المعالج ، فالروائي استطرد في وصف أعضاء من اللفيف الإفريقي في الجزائر الذي عايشه مدة غير قصيرة ، وغايته إظهار قوة الجيش الفرنسي في البلاد المستعمرة ، وهذا ما دفع بالمخرج جاك سيفراك Jacques Severac

إلى تحويل الرواية إلى فيلم في سنة 1936 ، وبهذا لم يضف سيفراك شيئا جديدا إلى الدعاية لقوة الجيش الفرنسي التي نشرتها الرواية قبله بسنوات عديدة .

و إذا فهمنا الدوافع إلى كتابة الرواية عند أندري أرماندي فسنتمكن من تصنيف الأعمال السينمائية المقتبسة ، و لا يصبح الفيلم مرآة لفكر المخرج و إنما انعكاسا لفكر الأديب الروائي .

و ضمن نفس الرؤيا تواجهنا رواية جوزيف بيري Joseph Peyré 1892 - 1968 "السرية البيضاء L'escadron blanc" 1931 ، فالكاتب كان صحفيا مهتما بالشؤون الخارجية لبلاده ، ولعب الخيال دوره في بناء مواضيع رواياته المتعددة التي بلغت أربعا و أربعين ، بداية من 1921 مع " على الشرفة Sur la terrasse" إلى آخر عمل "نار ودم جويلية Feu et sang de juillet " 1964 .



سيدي بلعباس لجون ألدن دولوس

وقد خصص جزءا مهما لحكايات الجنوب المستعمر منها " السرية البيضاء " و " القائد ذو النجمة الفضية Le chef à l’étoile d’argent" 1933 ، و "صليب الجنوب " 1942 ، " طانجة الرومانسية Romanesque Tanger" 1943 ، و "الصحراء الخالدة Sahara eternelle" 1944 ، و"سفر إلى المغرب Voyage Marocain " 1944 ، " أسطورة سعيد القومي La Legende du goumier said" 1950 ، و " الصحراء Sahara" 1950 .

نالت رواية " السرية البيضاء " جائزة النهضة بباريس 1931 ، وهذا دليل على اعتراف النقاد ببراعة الروائي جوزيف بيري ، وفي نفس الوقت تأكيد على الأفكار الواردة فيها ، فالروائي يتتبع مغامرات إحدى كتائب الجيش الفرنسي بالصحراء الجزائرية وتدعى " المهاريين " نسبة إلى المهارى ، وككل الروايات السابقة تكون مهمة الجيش نشر العدالة فالصحراء مليئة بقطاع الطرق ويجب القضاء عليهم ، وهكذا يبقى السكان الأصليون دائما خارج العدالة و الحضارة و يجب تصفيتهم و ليس فهمهم .

و كان من المقرر أن يقوم المخرج الإيطالي أوغستو جنينا Augusto Geninaبتحويل رواية السرية البيضاء إلى الشاشة الكبيرة سنة 1936 ، ولم يتفق مع المنتجين الفرنسيين فاتجه إلى المنتجين الإيطاليين ،وبهذا قصد جنيني ليبيا لتصوير الفيلم و تحولت القصة من أبطال فرنسيين إلى إيطاليين ، مما أثار غضب السينمائيين و النقاد الفرنسيين ، وهذا ما دفع بالمخرج الفرنسي روني شانا René Chanasإلى إعادة تصوير رواية جوزيف بيري ولكن الروائي قام بنفسه بكتابة السيناريو ، لكن الفيلم الثاني لم يلق نجاح الفيلم الإيطالي الذي عرض في القاعات الفرنسية لمدة شهور طويلة .- 47-
وعلى خطى جوزيف بيري يسير بيار سالفا Pierre Salvaفي روايته " الخنازير لا يملكون أجنحة Les cochons n’ont pas d’ails" ، فالكاتب كان رائدا في الجيش الفرنسي ، و لهذا فهو يسرد مغامرات الطيارين الفرنسيين

بين الجزائر و المغرب ، و السبب نفسه أي المغامرة دفع المخرج موريس لابرو Maurice Labro إلى تبني نص الرواية كأساس لفيلم المغامرات الذي صوره سنة 1952 ، و في نفس الفترة تقريبا تظهر رواية "سيدي بلعباس Sidi Belabbes " لجون ألدن دولوس Jean Alden Delos أحد ضباط الجيش الفرنسي بالجزائر ، ومع أن الرواية خيالية إلا أنها ترمي في الأساس إلى ترسيخ فكرة قوة الجيش الفرنسي و عظمته ، إذ يمثل في حقيقته عظمة الأمبراطورية الفرنسية ، و لكن ألدن دولوس لم يكتف بالكتابة و إنما كان يزاوج بين الكتابة السينمائية و الإخراج و الرواية ، و الدافع القوي الذي وجهه إلى حقل السينما محاولة تخليد أبطال الجيش الفرنسي ، و هكذا كتب و أخرج فيلمه الأول " إحتضار النسور L'Agonie des aigles " 1951 ، ثم يتبعه بفيلم "سيدي بلعباس "1953 المقتبس من رواية له بنفس العنوان ، و دائما في نفس الرؤيا يصور ألدن دولوس فيلمه الأخير "ذهب ساموري L'or de samory " 1957 ، و لكن هذا الفيلم الأخير لم يعرض في القاعات نظرا لظروف الحرب الفرنسية الجزائرية .



بيبي الموكو لجوليان دوفيفييه

و لم يخرج ألدن دولوس عن النظرة الدعائية لقوة الجيش الفرنسي ومع أن رواية " سيدي بلعباس " تعطي مكانة هامة للقايد و ابنته على أساس أنهما من السكان العرب الأصليين للجزائر ، إلا أنه اختيار مقصود لعناصر مساندة

للوجود الفرنسي ، و بالتالي حاملة لنفس فكر المعمرين ، أما بقية الجزائريين فلا وجود لهم في الرواية أو الفيلم إلا كعناصر خارجة عن القانون أو شريرة تتسبب في إيذاء الجنود الفرنسيين و لهذا وجب محاربتهم .
و من رواية المغامرات إلى الرواية البوليسية ، و أهم رواية تمثلها " بيبي الموكوPepe le Moko " لهنري لابارث Henri Labarthe القاص و الروائي و المسرحي الفرنسي 1887 – 1945 ، فقد كان لابارث من رواد الرواية البوليسية في الثلاثينات من القرن العشرين ، ولهذا لفتت الرواية انتباه أحد أكبر المخرجين الفرنسيين في الثلاثينات جوليان دوفيفييه Julien Duvivier، وقرر تحويلها إلى فيلم سينمائي سنة 1937 كان هدف هنري لابارث تصوير مرحلة من حياة أحد رجال العصابات في مرسيليا ، وهروبه من الشرطة إلى الجزائر أين يتواجد أحد أصدقائه القدامى ، و لكن بيبي يتفاجأ بحقيقة صديقه



بيبي الموكو

الذي يعيش في حي شعبي في العاصمة الجزائرية و ليس بين الأوروبيين و أحيائهم الفاخرة ، يصور لابارث حي القصبة على أنه وكر

للذعارة والحثالة من المجتمع بين السراق و المجرمين ، فيكون بذلك الحصن المنيع لبيبي الموكو ، و فعلا لم تتمكن الشرطة من القبض على بيبي إلا بعد أن غادر القصبة للالتحاق بإحدى السائحات الفرنسيات التي التقاها بالقصبة و وقع في غرامها ، و هكذا يلقى القبض عليه .-48 -

وهنا يمكن التساؤل لماذا اختار الروائي الحي العربي العتيق في العاصمة الجزائرية كوكر لبطله بيبي الموكو ؟

مع العلم أن مصالح الشرطة بالجزائر العاصمة أقرت في تقرير سنوي لها أن حي القصبة هو من أكثر الأحياء هدوءا في العاصمة الجزائرية سنة 1937 – - 49

وهذا يدل على أن الرواية التي كتبها لابارث اعتمدت على الخيال الأدبي أكثر من الحقائق الواقعية ، وربما يكون السبب هو بقاء الحي الشعبي القصبة صامدا في وجه حملة تغريب العاصمة الجزائرية ، فملامح العاصمة تغيرت عما كانت عليه في الماضي البعيد ، و أصبحت المدينة أوروبية المظهر ، فكل البنايات أصبحت ذات طراز غربي ما عدا القصبة ، و هذا ما يدفع الكتاب و الروائيين إلى محاولة تشويه المكان الوحيد الصامد و المتميز في الجزائر .

و لهذا لم يغير المخرج جوليان دوففييه من مسار الرواية في فيلمه " بيبي الموكو " 1937، بل ذهب أبعد من ذلك حين صور القصبة كوكر للمجرمين و الخارجين عن القانون ، و ذلك بدافع الواقعية ، مركزا على مظاهر الفقر داخل الحي العربي ، على خلاف الأحياء الأوروبية الدالة على الحضارة و التطور .

و بهذا هل يحق لنا أن ننقد المخرج أم الروائي ؟

و قد كان نجاح الفيلم كبيرا و بخاصة أنه من بطولة الممثل الفرنسي جون غابان Jean Gabin، ووصل نجاحه إلى السينما الأمريكية إذ قام المخرج جون بيري Jhon Berry بإعادة إخراجه تحت عنوان " القصبة The Casbah " 1948 ، مع إيفون دو كارلو Yvonne de Carlo و توني مارتين Tony Martin و بيتر لور Peter Lorr.

و من حيث تأثيره على المخرجين الفرنسيين ، فقد كان بيار كاردينال Pierre Cardinal أحدهم ، إذ قدم إلى الجزائر مكان مولده ليصور أول فيلم سينمائي له بعد تخرجه من معهد الدراسات السينمائية العليا بباريس ، وكان الفيلم من تأليفه و إخراجه " في قلب القصبة Au Coeur de la Casbah" 1951 ، وكان محاولة جديدة لتغريب حي القصبة العتيق ، إذ جعل بيار كاردينال أبطاله يعيشون بمحاذاة القصبة قصة حب غريبة بين امرأة ماريا و شاب جاء للبحث عن أبيه ، كان الأب زوجا لماريا ، و لكن الإبن يتفاجا بوجود أبيه داخل السجن ، و هكذا تتأزم العلاقات الإنسانية في حي لا علاقة له بسلوكات غربية لا عهد لساكنيه بها ،إذ تبدأ العلاقة العاطفية بين الإبن و ماريا ، والحقيقة أن محاولة كاردينال كانت ترمي إلى رفع الخصوصية عن الحي الشعبي ليصبح مثل بقية الأماكن التي يعيش بها الأوروبيون في الجزائر العاصمة .

و آخر رواية اعتمدها السينمائيون في مرحلة الاستعمار الفرنسي للجزائر ، كانت " زيتون العدالة Les Oliviers de la justice لجون بلغري Jean Pelegri المولود بالجزائر 1920 – باريس 2003 ، أول رواية صدرت له " الإبحار يوم الإثنين L'embarquement du lundi"1951 ، و الثانية " زيتون العدالة " 1959 التي تحصلت على الجائزة الكاثوليكية الكبرى للادب 1960 ، ثم توالت الروايات" المهبول -المجنون - Le Maboul " 1963 ، " الحصان في المدينة Le Cheval dans la ville " 1972 ، و " الأصياف الضائعة Les Etés perdus" 1999 ، كما له مجموعة أعمال مسرحية نذكر منها "سليمان Slimane " 1968 و " سيد الطبل Le Maitre du Tambour" 1974 .

وكان نجاح رواية زيتون العدالة بباريس كبيرا ، نتيجة لظروف الحرب التي تعيشها الجزائر ، مما دفع بالمنتج المقيم بالجزائر ج . دوروسليس G. Dorosles إلى الاستعانة بالمخرج الأمريكي جيمس بلو James Blue لتصوير أول فيلم أوروبي بالجزائر .

قام دوروسليس بإنتاج عدة أفلام وثائقية لفائدة السلطات الفرنسية بالجزائر ، و كان جيمس بلو أحد خريجي المعهد العالي للسينما بباريس ، و قد عملا معا في ميدان الأفلام الوثائقية ، ولكن المشروع الجديد كان فيلما روائيا خياليا و هذا يتطلب جهدا أكبر و إبداعا متميزا .
شارك جون بليغري في صياغة سيناريو الفيلم ، و بهذا كان الفيلم انعكاسا لأفكار الروائي ، و لم يكن جيمس بلو إلا واسطة بين الأدب و السينما ، وربما كان المخرج بجنسيته الأمريكية سببا في قبول عدد كبير من الممثلين و التقنيين الجزائريين المشاركة في فيلم فرنسي في تلك الظروف الصعبة من تاريخ الجزائر .
أراد بليغري من خلال روايته و الفيلم أن يظهر مدى توافق السكان الأصليين للجزائر و الأوروبيين القاطنين بها ،و كانت المحاولة الوحيدة التي يظهر فيها الجزائري بصورة إنسان ،و يبدو جليا أن الرواية اتخذت منحى مغايرا لكافة الروايات الفرنسية التي سبقتها و لكن عرض الفيلم كان متأخرا إذ عرض بالقاعات الباريسية في جوان 1962 ، و هي فترة متأخرة للتأثير على المشاهدين ، فضاع الفيلم بعد ذلك بسبب الظروف التي انتهت بها الحرب الجزائرية و ما نجم من أحداث بعد استقلال البلاد .- 50-
و إلى جانب الرواية نجد القصة القصيرة منبعا للسينما الفرنسية في مرحلة ما بعد الحربين ، و من بين كتابها نجد برنار فرنك Bernard Frank أوبرنار بولايBernard Poulailler 1866 – 1967 ، و قد كان مغامرا اشتغل بحارا لسنوات عديدة ، وكانت مجموعته " أجزاء حطام " وهي قصة مغامرات وجوسسة بين العملاء الفرنسيين و البريطانيين ، أما العلاقة بين القصة و الجزائر ، فلا توجد لأن الكاتب لم يشر إليها ، و فضل المخرج جاك روبير الذي حول القصة إلى فيلم أن تكون الجزائر العاصمة مسرحا للأحداث ، و عرض الفيلم سنة 1926 .
وهناك أديب و قصاص آخر جون ماكيس Jean Makisصاحب قصة " لفيف الشرف Légion D’honneuR" و هي قصة ترتكز على بطولات

الجيش الفرنسي ، و قد حولها موريس غليزMaurice Gleize وج . فرابا G.Frappaإلى سيناريو أخرجه موريس غليز سنة1937 .
و إلى جانب الرواية و القصة نجد النصوص المسرحية و الاستعراضات أيضا نبعا يستقي منه السينمائيون الفرنسيون أحداث أفلامهم ، وهكذا كانت مسرحية " المغامر L'Aventurier1910 " التي كتبها ألفريد كابيس Alfred Capus 1857 -1922 سنة 1910 مصدر الفيلم الذي أخرجه موريس ماريو Maurice Mariaudسنة 1924 ، أو مسرحية " الأمير جون Le Prince Jean" للكاتب الدرامي شارل ميري Charles Meré1883 – 1970 الذي كتب 41 نصا مسرحيا و أخرج فيلمين واقتبست من أعماله خمسة عشر فيلما ، و كانت مسرحية " الأمير جون "التي كتبت سنة 1923 تصور الأراضي المستعمرة على أنها الأراضي الموعودة و ذلك ترغيبا للفرنسيين إلى الهجرة إليها مثلما فعل بطل المسرحية الأمير جون .وقد قام روني إرفيلRené Hervil بإخراج الفيلم سنة 1927 ، و أعيد إخراجه سنة 1934 .

أما الكاتب الدرامي لوسيان بيسنارLucien Besnard 1872 – 1955 فقد كانت آخر مسرحياته " تحت ظل الحريم "1927 ، موضع اهتمام السينمائيين الفرنسيين ، إذ حولها ليون ماتو Leon Mathotوأندري ليابل André Liabel إلى فيلم يحمل نفس العنوان سنة 1928 ، و لكن بسنار لا يهتم بالمغرب إلا بما يوحي إليه من أشياء تتعلق بالمشرق و غرائبيته ، من حيث تعدد النساء و ما يترتب عن ذلك من ملذات و مآسي .
ومن الكتاب الدراميين المشهورين نجد هنري كريستميكرز – الإبن – Henri Kristmaekers 1872 بلجيكا -1938 باريس ، ينتقل سنة 1900 إلى فرنسا و يطلب جنسيتها ، وفي نفس الوقت ينضم إلى جمعية الكتاب و المؤلفين الدراميين ، و قد كتب 29 عملا مسرحيا من بينها " الغرب L'Occident" في ثلاثة فصول عرضت أول مرة سنة 1913 ، و إلى جانب المسرح كتب كريستميكرز مجموعة روايات وقصص قصيرة .

كانت مسرحية " الغرب " محل اهتمام المخرج هنري فسكور Henri Fescourt، فقدمها للسينما سنة 1928 ، وفي سنة 1938 يعيد إخراجها ضمن التطورات الحاصلة للسينما العالمية و منها مزج الصوت بالصورة .
وهناك عمل مسرحي آخر اهتم به المخرجون " الأم كوليبري Mamman Colibri" من تأليف المسرحي هنري باتاي Henri Bataille 1872-1922 ، و هي ثالث مسرحية يكتبها هنري باتاي و عرضت بباريس سنة 1904 ، تحولت إلى فيلم أول مرة سنة 1929 من إخراج جوليان دوففييه ، وثاني مرة في الثلاثينات مع جون دروفيل Jean Drevilleسنة 1937 .
ومن الأفلام المعتمدة على نص مسرحي نجد " ريح السموم Le Simoun" لفيرمن جيمي Firmin Gémier1933 المأخوذ عن نص مسرحي بنفس العنوان للكاتب الدرامي لونورمان .هنري . روجي H.R.Lenorman.، وكذلك نذكر فيلم " سيدوني باناش Sidonie Panache" للمخرج هنري ويلشليغر Henri Wulschleggerالمأخوذ عن أوبرات للكاتبين فيلميتزWillmetz و نويزي إيون Nouezy -eon، و فيه مثل الكاتب الدرامي المشهور أنتونين أرتو Antonin Artaud دور الأمير عبد القادر الجزائري .- 51-
والملاحظ أن كل الكتاب الدراميين الفرنسيين الذين تعرضوا إلى مواضيع ذات صلة بالوجود الفرنسي بالجزائر لم يزوروا شمال إفريقيا ، و إنما لعبت الأفكار السائدة عن البلدان المستعمرة و قوة الإمبراطورية الفرنسية الاستعمارية دورا كبيرا في إبداعاتهم ، مما أثر في المواضيع التي أخذت السينما الفرنسية تطرحها للمشاهد الفرنسي و العالمي .و إذا استثنينا مجموعة الأفلام المقتبسة عن الروايات و القصص و المسرحيات الفرنسية يبقى عدد قليل من إبتكار مخرجين و كتاب سيناريو ، وهم لا يبتعدون عن التيمات التي تعرض لها الأدب أو المسرح الفرنسي عن الوجود الفرنسي بشمال إفريقيا ، و يمكن أن نصنفها ضمن ثلاث مجموعات ، أولها الأفلام التي تتعرض إلى أبطال أوروبيين و لا يلعب المكان فيها إلا دورا هامشيا ، و بالتالي فالقصص أوروبية خالصة منها "إبن الليل Le Fils de la nuit

"1921 لجيرار بورجوا Gerard Bourgeois 1874 –1944 ، و "وجوه محجبة و أرواح مقفلة Visages Voilés , Ames Closes"1921 لروني روسل Henri Roussel ، او " الألماس الأخضرLe Diamond Vert " لبيار مارودونPierre Marodon1923 ، أو " أفق الجنوب à L'horizon du Sud" لماركو دو غاستيني Marco de Gastyne1924 ، أو "أبواب الصمت Les Murailles du Silence" للويس دو كاربونا 1925 Louis de Carbonnat ، أو " مبارزة Duel"لجاك دو بارونسيلي Jacques de Baroncelli 1927 ، أو " رمال Sablesلديمتري كيرسانوف Dimitri Kirsanoff 1927، أو " رمال كاسفةSables Mouvants " لجاك ميلس Jack Mills1929 ، و " رياح Bourrasques " لبيار بيلون Pierre Billon 1935، أو "حانة الجنوب Bar du Sud"
لهنري فسكور 1938 ، أو " على خطى الجنوب La Piste du Sud " لبيار بيلون أيضا 1938 ، و " " نداء البلد L'Appel du Bled" لموريس غليز.



النقيب إيكس لبرنار بوردوري

1942 ،أما الإتجاه الثاني فيكرس قوة الجيش الفرنسي في البلاد المستعمرة ومنه فيلم " النقيب إيكسx Le Sergent" للمخرج الروسي المقيم بفرنسا

فلاديمير ستروجوسكيVladimir Strewjeski 1932 ، و الذي أعيد إخراجه من طرف برنار بوردوري Bernard Borderie سنة 1959 ، وكذلك " نداء الخطر بالصحراء S.O.S Sahara " لجاك دوبارونسيلي 1938 ، ويمكن أن نضيف إليها فيلم "اللقاء الكبير Le Grand Rendez-vous "لجان دوفيل 1949 الذي صور أحداث دخول الجيش الأمريكي إلى شمال إفريقيا و بالتحديد الجزائر للمشاركة في الحرب العالمية الثانية سنة 1942 ، و يضاف إليه فيلم " كازابيانكا Casabianca"1951 لجورج بيكلي George Peclet الذي يتتبع مغامرات البحرية الفرنسية في البحر الأبيض المتوسط أثناء الحرب العالمية الثانية .

كما نجد صنفا من الأفلام يقتبس من حكايات ألف ليلة و ليلة و يصبغها بالطابع الحديث ، مع وجود أبطال أوروبيين و شخصيات عربية توحي للمشاهد الغربي بالغرائبية التي اعتاد قراءتها في أدب القرن التاسع عشر و بداية القرن العشرين ، ومن بين الأفلام المصورة في الجزائر " المرأة و العندليب La Femme et le Rossignol" لأندري هوجون 1931 ، كما نعثر على فيلم يصور مرحلة من مراحل حياة المسيح عليه السلام "غولغوتا Golgotha" لجوليان دوففييه Julien Duvivier 1934 .
و في هذا التصنيف أخرنا الحديث عن فيلم " البلد LeBled" لجون رونوارJean Renoir 1929 ، و هو أحد رواد السينما الفرنسية الحديثة ، لأنه يعتبر مثالا حيا عن مدى تبعية السينما الفرنسية للأفكار السياسية السائدة في النصف الأول من القرن العشرين ، و التي جعلت السينما تبعد عن الحقيقة ، و توظف كوسيلة دعائية تبعد الإبداع السينمائي عن الفنية ، فالفيلم كان تلبية لنداء السلطات الفرنسية للاحتفال بمرور قرن على احتلال الجزائر ، بل كان الفيلم دعوة للفرنسيين للهجرة إلى البلاد المستعمرة لأنها تمثل الجنة التي يطمح إليها كل من يرغب في جني الأموال الطائلة ، و بهذا لا يمكن أن نستثني السينمائيين و لا الروائيين و القصاصين و لا

المسرحين في بناء فكر كولونيالي جسدته السينما الفرنسية عبر العشرات من الأفلام .

"تندرج جميع أقسام السينما الفرنسية تحت مظلة الأنواع الملائمة للصناعة الثقافية الغربية لتلك الحقبة ، كانت تشترك ضمنيا في تقديم صورة معينة لإفريقيا الشمالية "- 52 -

مخرجون فرنسيون وسلاح الصورة :

لم تكن السينما الفرنسية سلبية بشكل كلي ، إذ أنها أنجبت بعض السينمائيين الممتازين و ذوي ميل إلى العدالة و إثبات الحقائق التي أنكرها جيل من الروائيين و السينمائيين قبلهم ، ونخص بالذكر إثنين منهم روني فوتييRené Vautier و بيار كليمونPierre Clément .



بيار شولي

يحتل روني فوتيي مكانة عالية في تاريخ السينما الجزائرية التي نشأت في قلب ثورة التحرير ، و لكن مواقفه المناهضة لإخفاء الحقائق و الظلم و الاستعمار تجلت قبل ذلك بسنوات عديدة ، شارك و هو صغير السن في

المقاومة الفرنسية للاحتلال الألماني ، وبعد انتهاء الحرب العالمية ، التحق بالمعهد العالي للدراسات السينماتوغرافية 1948 ، ، و أخرج أول فيلم وثائقي" إفريقيا Afrique 50" سنة 1950 لمصالح رابطة التعليم ، غير أنه صور الحقائق الممنوعة ، مما جلب له غضب السلطات الفرنسية وحكم عليه بالسجن لمدة سنوات .



روني فوتييه

يعتبر روني فوتيي أول سينمائي فرنسي يتحدى السلطات الفرنسية بتصوير حقائق عن الشعوب المستعمرة بإفريقيا ، و لم يمنعه السجن من مواصلة البحث عن خفايا الاستعمار و لهذا توجه إلى الجزائر سنة 1954 ، لمتابعة ما يحدث فيها من انتفاضة على المستعمر و تمكن من إخراج فيلمه الوثائقي " الجزائر أمة L'Algerie , une Nation" 1954 وذلك بمعية جون لودزJean Lodz، أثار الفيلم سخط السلطات الفرنسية فلاحقته قضائيا مما اضطره إلى اللجوء إلى معاقل جبهة التحرير الجزائرية بالولاية الأولى عبر الحدود التونسية .

" لم يكن انتماء إلى جبهة التحرير ، و إنما هي ببساطة محاولة لتصوير حقيقة لم يرها الفرنسيون " روني فوتيي -53-

كلف روني فوتيي من طرف جبهة التحرير بإنشاء مدرسة للتكوين السينمائي1957 ، بحيث أدرك قادة الجبهة أن الصورة يمكن أن تكون وسيلة هامة للتعريف بالقضية الجزائرية خارج البلاد ، وهكذا أخذ فوتيي يلقن مجموعة من الجنود الجزائريين تقنيات التصوير و الإخراج ، بيد أن معظمهم سقط في ميدان الحرب .

أنتج تلاميذ روني فوتيي مجموعة أفلام وثائقية قصيرة عن المدرسة ذاتها و عن الممرضات في الجبال ، وفيلم عن هجوم المجاهدين الجزائريين على منجم الونزة .-54 -



لم تستمر المدرسة أكثر من أربعة أشهر .بعدها تمكن فوتيي من إخراج " الجزائر تحترقL'Algerie en Flammes " فيلم قصير من إنتاجه ومشاركة ألمانيا الشرقية .

و في سنة 1960 أنشأت لجنة السينما من طرف الحكومة المؤقتة ، و بعدها مصلحة السينما التابعة للحكومة المؤقتة و في نفس الوقت أنشأت لجنة

السينما التابعة لجيش التحرير الوطني ، وفي تلك المرحلة سعى روني فوتيي لتحقيق فكرة فيلم قصير " عمري ثماني سنوات J'ai Huit Ans " و أسند مهمة إخراجه إلى يان و أولغا لوماسون Olga Poliakoff-Yann Lemasson، وفي سنة 1962 يقوم فوتيي بتقديم فيلمه الأخير عن الثورة الجزائرية " خمسة رجال و شعب Cinq Hommes et un Peuple" .



بعد استقلال الجزائر يقوم روني فوتيي بمحاولة لاستعراض نتائج الثورة التحريرية و طموحات الشعب الجزائري بعد حصوله على حريته من خلال فيلمه " مسيرة شعب " .1963 ، و لكنه يصرح في إحدى اللقاءات في الجزائر سنة 1982 ، بأن الفيلم كان من إخراج جماعي مع كل من أحمد راشدي و نصر الدين قنيفي و محمد قنز و علال يحياوي .-55 – لم يغادر روني فوتيي الجزائر و عين مسيرا لمركز السينما كما كلف بمهمة تكوين السينمائيين بها ، و كعادته فإنه لم يستقربالجزائر ، ورجع إلى فرنسا لمتابعة ما جد فيها من قضايا تستدعي حضوره، ثم تحول إلى الأفلام الروائية الخيالية إذ أخرج " أبناء العم الثلاثة "عن مشاكل المهاجرين الجزائريين بفرنسا 1970 ، و بعدها بعامين يعود إلى أحداث الثورة الجزائرية بفيلم خيالي محاولا إظهار بعض الحقائق الخفية عن الجيش

الفرنسي " البالغون 20سنة في الأوراس Avoir vingt ans dans les Aures" 1972 .- 56 -
تحصل روني فوتيي سنة 1998 على الجائزة الكبرى للجمعية المدنية لمؤلفي الإعلام و الاتصال على جميع أعماله السينمائية ، و يبقى روني فوتيي بحق أحد السينمائيين الفرنسيين الذين وظفوا الصورة و الفن من أجل العدالة و الحق سواء مع الدول المستعمرة ضد طغيان الاستعمار أو أفلامه ضد العنصرية في فرنسا او ضد التمييز العنصري في جنوب إفريقيا أو ضد تلوث البيئة وكذلك أفلامه عن حرية المرأة .
وفي نفس الخانة يمكن أن نضع مخرجا فرنسيا آخر كان رفيق روني فوتيي وهو بيار كليمون – متوفى 2007 ، وهو أيضا خريج المعهد العالي للدراسات السينماتوغرافية ، انتقل إلى تونس سنة 1957 لمتابعة ما يحدث فيها من تغييرات إثر تحصلها على استقلالها ،و نظرا لمعرفته العميقة بفن السينما يتم الاتصال به من طرف مدرسة السينما التي يترأسها روني فوتيي و يلتحق بيار كليمون بمدرسة السينما الجزائرية ، مما سمح له بتصوير الأحداث المؤلمة التي شهدتها ساقية سيدي يوسف بالحدود التونسية الجزائرية ، و التي يقتل فيها الطيران الفرنسي أبرياء من الشعب أثناء ملاحقتهم للمجاهدين الجزائريين ، و كان ذلك سببا في قيامه بإخراج فيلمه الوثائقي الأول "ساقية سيدي يوسفSakiet Sidi Youssef " 1958 ،ثم تبعه بفيلم آخر "اللاجئون Les Réfugiers" 1958 و كان يشاركه في الإخراج جمال شندرلي الجزائري . كانت تلك الأفلام الدافع الحقيقي في إلقاء القبض عليه من طرف الجيش الفرنسي بالجزائر و الحكم عليه بعشر سنوات سجنا ، و لكن اطلق سراحه مع إعلان انتهاء الحرب سنة1962 .
بعد ذلك عمل بيار كليمون مديرا للتصوير في مجموعة أفلام أخرجها روني فوتيي منها "البالغون 20 سنة بالأوراس " 1972 ، و " مجنونة توجان La Folle de Toujane " 1974 ، و "حين النساء يغضبن Quand Les Femmes ont pris la colère " 1978 و أخيرا " المد الأسود و الغضب الأحمر Marée Noire , Colère Rouge" 1978 .

ولا ننسى في هذا العرض المخرجة السينمائية الفرنسية سيسيل دو كوجيس Cecile de Cujis التي استطاعت أن تخرج الفيلم الوثائقي " اللاجئون Les Réfugiers " بتونس عن اللاجئين الجزائريين بها و كان ذلك سنة 1956 ، و لكن السلطات الفرنسية ألقت القبض عليها و حكم عليها بالسجن لمدة سنتين .-57 -.
ولا ننسى أيضا الدكتور شولي أحد مخرجي فيلم جزائرنا 1960 مع جمال شندرلي و محمد لخضر حامينا ، و هو الدكتور الطبيب بيار شولي من مواليد الجزائر العاصمة سنة 1930 ، إنضم مبكرا إلى التيارات الجزائرية المطالبة بحقوق الجزائريين ، ومع اندلاع الثورة التحريرية التحق بصفوف جيش التحرير الوطني عن طريق تونس و كانت مشاركته فعالة في جانب تخصصه الطبي ، و بعد الاستقلال بقي في الجزائر واسندت له وظائف سامية .
ومن بين الأسماء العالقة في الأذهان المخرج الألماني – الشرقية سابقا – كارل غاس Karl Gass صاحب فيلم "هيا أطفال الجزائر Allons Enfants D'Algerie " 1961 الذي عرض بالقاعات الألمانية 1962 ، ويعرض فيه المخرج بعض الأحداث الهامة من تاريخ ثورة التحرير الجزائرية .



سلم فتي لجاك شاربي

و هناك أسماء أخرى من أوروبا الشرقية كانت مساندتها فعلية ، بالصورة لدعم مسيرة الشعب الجزائري نحو التحرر ومن بينهم س . لودوفيتش

S.Ludovicو هانس إيريكHans Erich و البلغاري غانيفGanev و سيسيل هانسريتشCecile Hanserich و برانكوBranko .-58 –
أما جاك شاربي Jacques Charbyفيمثل حالة فريدة في تاريخ السينما الجزائرية ،فهو صاحب أول فيلم روائي خيالي بعد إستقلال الجزائر، ولكنه فرنسي الجنسية و ليس من مواليد الجزائر أو ممن عاشوا بها خلال لفترة الاستعمارية ، و إنما قادته أفكاره النضالية ضد الاستعمار إلى مساندة الجزائريين في ثورتهم التحريرية ، فهومن مواليد باريس 1929 ،كان والده نقابيا و أمه مدرسة ، و لما بلغ السادسة عشر التحق بمعهد الموسيقى بتولوز ، ثم امتهن التمثيل بالمسرح ، وعلى خطى والده انضم إلى نقابة الممثلين ، وبعد اندلاع الثورة الجزائرية التحق سنة1958 بشبكة فرنسية لمساعدة الجزائريين بالخارج و تحويل أموالهم و تدعى شبكة جونسون وكان ذلك سببا في إلقاء القبض عليه 1960 ، و في السجن يعلم الجزائريين اللغة الفرنسية و يكتب أول كتاب له " الجزائر بالسجن L’Algérie en Prison" وبعدها يهرب من



سلم فتي _جاك شاربي على اليسار

مستشفى السجن بعد إدعائه المرض العصبي ، ويسافرإلى تونس للعمل لحساب الحكومة الجزائرية المؤقتة ، و يقوم مع فرانز فانون بمساعدة الأطفال المهجرين أو المتأثرين بأحداث الحرب وكانت فرصة هامة لكتابة

"أبناء الجزائرLes Enfants D'Algérie " ومساعدة كل من يحتاج إلى مساعدة ، و في تونس يتبنى مصطفى أحد ضحايا الحرب ، بل إن هذه التجربة الأليمة دفعته إلى كتابة سيناريو حول الأطفال الجزائريين و علاقتهم بالحرب ، وقدمه للمركز الوطني للسينما الذي أنشأ سنة 1964 ، و بدأ تصوير أول فيلم من إنتاج جزائري و إخراج فرنسي " سلم فتي Une si Jeune Paix" 1964 ، ولهذا لا زال يثير هذا الفيلم كثيرا من التساؤلات في بداية التأريخ للسينما الجزائرية في مجال الأفلام الخيالية ، مكث جاك شاربي بالجزائر حتى سنة 1966 ،و

بعد العفو عليه من السلطات الفرنسية عاد إلى باريس ، وكانت وفاته سنة 2006 .

الإحالات :

1 – روبير لافون – جرامون : السينما المعاصرة ، ترجمة موسى بدوي ، شركة درادوسكوم ن 1977 .ص40

2 – نفسه ص 39

3 –Roger Boussinot : Encyclopédie du Cinéma ,Tome 1,pxv111

الفصل الأول :

1-Abdelghani Megherbi :Les Algeriens Au Miroir Du Cinéma Colonial ,SNED ,Alger ,Algerie .p57.

2 – عبد الحميد بورايو : مدخل إلى السيميولوجيا ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر .ص 141

3-Jean Dejeux : Histoire de la Littérature Algerienne Contemporaine , P.U.F.France p13.

4-Ahmed Lanasri : Mohammed Ould Cheikh Un Romancier des Années Trente , O.P.U.Algerie p3.

5-Jean Dejeux , Idem p 20 .

6-Abdelghani Megherbi, Idem p71

7-René Jeanne , Charles Ford :Le Cinéma Muet ,Marabout Université ,Paris ,France ,p 14

8-Idem ,p 16.

9-Abdelghani Megherbi, Idem p15

10- Idem p14
11- Idem p14
12- Idem p17
13-René Jeanne , Charles Ford :Idem p 21.
14 - Boussinot Roger : Encyclopédie du Cinema ,Tome2, p 872 .
14-Ahmed Lanasri :Introduction du roman de Mohammed Ould Cheikh ,O.P.U.Algerie p11
15-Jean Dejeux , Idem p18
16-George Sadoul : Le Cinema Devient un Art ,L'avant Guerre , Hisroire Generale du Cinema , Denoel , Paris 1951 ,p45.
17-René Jeanne , Charles Ford :Idem p 28.
18-Idem p28.
19-Idem p32.
20-Idem p 103.
21- Abdelghani Megherbi, Idem p 71.
22-Idem p 17.
23 –Idem p 24.
24 – سلالي علي : شروق المسرح الجزائري ، الجزائر ، ص 21 .
25 – نفسه ص 22 .
26 – نفسه ص 22 .
27 – أحمد بيوض : تاريخ المسرح الجزائري ، مطبوعات الجاحظية ، الجزائر ، ص 20 .
28 –سلالي علي : المرجع نفسه ص 35 .
29- Abdelghani Megherbi, Idem p 31
30-Idem p64 .
31-Idem p42.
32 –Idem p 42.
33 –Idem p274 .
-34- أحمد بيوض : المرجع السابق ص 34 .

35 - Abdelghani Megherbi, Idem p274.

36 – سلالي علي : المرجع نفسه ، ص 4 .

37- Revue Tassili Numéro 42 , Juin –Aout 2005 .

38 - Abdelghani Megherbi, Idem p63.

39-El Watan , 7 Fevrier 2008 ,p 22.

40 –Idem , p 20.

41 - Idem , p 20.

42 -Jean Dejeux , Idem p15 .

43 –Atlantide –Wikipédia .com

44 –Wikipédia .Com .

45 –Idem .

46 -Jean Dejeux , Idem p32 .

47 – Abdelghani Megherbi, Idem p215

48- Abdelghani Megherbi, Idem p246 .

49– مدخل إلى السيميولوجيا ، ص 158 .

50 - Abdelghani Megherbi, Idem p128 .

51–Idem p 275 .

52–مدخل إلى السيميولوجيا ص 141 .

53– LeSoir D’Algérie -25-11-2010 p 11.

54 – Cinéma Algérien Production 1957 -1973 p 10.

55 -– LeSoir D’Algérie -25-11-2010 p 11.

56– مجلة الشاشتان ، العدد 40 ، ديسمبر 1981 ، ص 26 .

57- Cinéma Algérien Production 1957 -1973 p 12 .

58 – Algerie Monde .Com

الأسماء الواردة في الفصل الأول

1- الأخوين لوميار مخترعين فرنسيين ، اخترعا السينماتوغراف كآلة للتصوير و آلة لعرض الصور المتتابعة و عملا على إدخال الألوان على أفلام التصوير ،

وهما أوغست لوميار المولود ببوزنسون الفرنسية 1862 – 1954 ، و لويس لوميار 1864 – 1948 .
2 – فيلكس مسغش مصور فرنسي ولد بالجزائر العاصمة 1871 -1949 و ظفه الأخوان لوميار كمصور و أطلق عليه صياد الصور، في سنة 1899 اشتغل كمصور حر حتى وفاته .
3 –جورج ملياس مخرج و كاتب سيناريو فرنسي ، يعتبر بحق أول سينمائي أدخل السينماتوغراف عالم الفن ، أول من استخدم الحيل السينمائية في التصوير و أول من أقام أستديو للتصوير ، ولد 8 ديسمبر 1861 – 21 يناير 1938 .
4 – جاك فيدر و اسمه الحقيقي جاك فيدريكس ، مخرج سينمائي فرنسي من أصل بلجيكي 1888 -1948 .
5 –لويس مركونتون مخرج سينمائي و ممثل و كاتب سيناريو و منتج أفلام فرنسي 1879 -1932 .
6 –هنري روسل ممثل و مخرج و كاتب سيناريو فرنسي 1875 – 1946 .
7 – ألفريد كابيس صحفي وروائي و كاتب درامي فرنسي 1857 – 1922 .
8 –برنار فرنك و اسمه الحقيقي برنار بولابيه كاتب فرنسي 1866 -1967 .
9 – جاك دو بارونسيلي مخرج فرنسي و كاتب سيناريو و منتج أفلام سينمائية 1881 -1951 .
10 – لوسيان بسنار كاتب درامي فرنسي 1872 -1955 .
11 –هنري فسكور مخرج سينمائي فرنسي 1880 -1966 .
12 – هنري كريتميكرز و إسمه الحقيقي هنري هوبر ألكسندر كيستميكرز روائي و كاتب درامي بلجيكي ولد بفلوريف 1872 وتحصل على الجنسية الفرنسية سنة 1900 ،توفي بباريس 1938 .
13 –جوليان دوفيفييه ممثل مسرحي في بداية حياته الفنية ثم مخرج سينمائي فرنسي ، ولد بمدينة ليل الفرنسية 1896 – باريس 1967 .
صور في الجزائر فيلمين " غولغوطا " 1934 و " بيبي الموكو " 1937 .
14 –شارل ميري مخرج سينمائي و كاتب سيناريو فرنسي 1883 -1970 .
15 –هنري باتاي شاعر فرنسي و كاتب درامي 1872 – 1922 .

16 – جون رونوار مخرج فرنسي و ممثل و كاتب سيناريو وهو إبن أوغست رونوار الرسام الفرنسي المشهور ، ولد بباريس 15سبتمبر1894 .-12 فبراير 1979 .

17 –أندري هوجون مخرج و كاتب سيناريو و منتج سينمائي فرنسي ، ولد بالجزائر العاصمة 1886 ، وتوفي بمدينة كان 1960 .بالرغم من تواجده بالعاصمة الفرنسية إلا أن اهتمامه بالمغرب العربي كان كبيرا ، وهو صاحب أول فيلم فرنسي ناطق " الأقنعة الثلاثة " 1929 ، ساعد طاهر حناش للدخول إلى عالم السينما ، وخص الجزائر بثلاثة أفلام
" تاجر الرمل " 1931 و " صليب الجنوب " 1931 و " ساراتي الرهيب 1937" .

18 – بول أشار روائي و كاتب سيناريو فرنسي ولد بالعاصمة الجزائرية 22 مارس 1897 – 10 نوفمبر 1962 ،صاحب سيناريو فيلم " تاجر الرمل " لأندري هوجون المصور في الجزائر 1931 .

19 –فيرمين جيمييه ممثل فرنسي ومخرج مسرحي ومدير قاعة مسرح و مؤسس المسرح الوطني الشعبي ، 1869 – 1933 .

20 –ريمون برنار مخرج سينمائي فرنسي 1891 – 1977 ، بدأ ممثلا مسرحيا مع أبيه الكاتب و المخرج المسرحي تريستان برنار ، ثم انجذب نحو السينما محولا بعض مسرحيات أبيه إلى أفلام سينمائية .

21 –ألفونس دودي روائي فرنسي 1840 – 1897 .

22 – جاك سيفراك مخرج سينمائي فرنسي 1902 -1982 .

23 –أندري أرماندي واسمه ألبير أندري أغيلار ، روائي فرنسي 1882 – 1958 .

24 – جون دروفيل صحفي فرنسي صاحب مجلة" سينغرافيا " و مخرج سينمائي .20 سبتمبر 1906 – 5 مارس 1997 .

25 – موريس غليز مخرج سينمائي فرنسي 1898 – 1974 .

26 – كريستيان جاك أو ألبير فرانسوا كريستيان مودي مخرج سينمائي فرنسي و كاتب سيناريو ولد بباريس 4سبتمبر 1904 –8 جويلية 1994 .

في البداية اختص في مجال الديكور ثم امتهن الإخراج السينمائي ، من أفلامه المشهورة " متعبدة بارما " 1948 المقبسة عن رواية الأديب الفرنسي ستاندال .و صور في الجزائر " واحد من اللفيف " 1937 .

27 –أشلبي أو روجي أشلبي و اسمه الحقيقي هنري لابارث ،روائي فرنسي 1887 – 1945 .

28 – بيار بيلون ممثل و كاتب سيناريو ومخرج سينمائي فرنسي 7 فبراير 1901 – 31 أوت 1981 –



بيار كليمون

29 –سيرج دو بوليني مخرج سينمائي فرنسي باريس 14 أبريل 1903 – 23 مارس 1983 .

30 –آن ماري ديماريست روائية فرنسية 17 ماي 1904 – 04 مارس 1973 .

31 –جوزيف بيري روائي فرنسي 13 مارس 1892 – 26 ديسمبر 1968 .

32 –جورج بيكليت و اسمه الحقيقي برسبر ديزيري بيكليت ممثل و كاتب سيناريو و مخرج سينمائي فرنسي 27 جويلية 1897 – 11 يناير 1974 .

33 – بيار كاردينال مخرج سينمائي فرنسي و كاتب سيناريو و حوارو منتج أفلام ، ولد بالجزائر العاصمة 8 جوان 1924 – 16 ماي 1998 ، تخرج من المعهد العالي للسينما بباريس 1948 ، ثم ارتبط به لتدريس العلوم السينمائية ، و خاض تجربتين سينمائيتين " في قلب القصبة " 1952 و " نزوة يوم "1955 ، و في سنة 1960 انتقل للعمل بالتلفزيون الفرنسي إلى غاية وفاته .

34- موريس لابرو مخرج سينمائي فرنسي 21سبتمبر 1910 – 23 مارس 1987 .أخرج فيلما واحدا في الجزائر " إثنان من الكثيبة " 1952 .
35 – جون ألدن دولوس مخرج سينمائي و كاتب سيناريو و حوار و روائي فرنسي ، حول روايته " سيدي بلعباس " إلى فيلم 1953 ، و قبله أخرج "احتضار النسور "1951 و " ذهب ساموري " 1957 .
36 – برنار بوردوري مخرج سينمائي فرنسي ، عمل في البداية مساعدا لبعض المخرجين ثم عمل كاتبا للسيناريوهات و مخرجا ،
10 جوان 1924 – 28 ماي 1978 .
37 – جيمس بلو مخرج أمريكي و كاتب سيناريو 10 أكتوبر 1930 تولسا بأوكلاهوما – 14 جوان 1980 نيويورك ، تخرج في بداية الخمسينات من المعهد العالي للسينما بباريس ، ثم انتقل على الجزائر لتصوير بعض الأفلام الوثائقية قبل أن يخرج أول فيلم روائي مطول " زيتون العدالة "1962 .
38 – جون بيليغري روائي فرنسي وممثل و كاتب سيناريو ولد بالجزائر 20 جوان 1920 – باريس 24 سبتمبر 2003 . صدرت له مجموعة روايات
- الركوب يوم الإثنين 1952 - زيتون العدالة 1959 – المهبول – المجنون 1963 – الرجل الحجر 1965 –
- سليمان –نص مسرحي 1968 – الرجل الذي أكلته المدينة 1970
- سيد الطبل نص مسرحي 1974 – أمي الجزائر طبع بالجزائر 1990
- الأصياف الضائعة باريس 1999 .
39 – روني فوتييه مخرج سينمائي فرنسي و كاتب سيناريو 15 يناير 1928 ، عاش في أسرة متواضعة أمه مدرسة و أبوه عامل بأحد المصانع ، شارك مع الشباب المقاوم أثناء الاحتلال الألماني لفرنسا ، و بعد نهاية الحرب التحق بالمعهد العالي للسينما لدراسة الإخراج السينمائي ، حتى سنة 1948 ، أخرج بعدها أول فيلم "إفريقيا 50 " الذي صودر و حكم عليه بالسجن إلى غاية 1952 ، وبعد اندلاع الثورة الجزائرية يقوم بإخراج فيلم جديد "الجزائر أمة " الذي يتسبب له


المخرج روني فوتييه

في محاكمة جديدة لذا يسافر إلى تونس و منها يلتحق بالجبال الجزائرية لتصوير ما يجري فيها من أحداث حقيقية تناهض ما يبثه المستعمر من أخبار كاذبة ، و يكلف من طرف الهيئات الجزائرية آنذاك بتكوين مدرسة للسينما تقوم بإخراج ثلاثة أفلام وثائقية ، كما يشارك بعدها فوتييه في إخراج بعض الأفلام ، و بعد استقلال الجزائر يكلف بإدارة المركز السمعي البصري إلى غاية 1965 ، ليعود بعدها إلى فرنسا لرصد ماجد من أحداث ، و يقف بعدها مناهضا في مواقفه و أعماله السينمائية للتمييز العنصري و الرقابة على الأفلام السينمائية و تلوث البيئة و يساند الكثير من القضايا العادلة .

40 –بيار كليمون مدير تصوير و مخرج فرنسي توفي 8 أكتوبر 2007 درس بالمعهد العالي للسينما بباريس ، ومع نهاية الخمسينات انتقل إلى تونس لتصوير ما جد بها من أحداث ، فصادف الأحداث الدامية لساقية سيدي يوسف بالحدود الجزائرية ، ومكنه ذلك من تصوير فيلم عن الأحداث 1958 ، و لكن عمله السينمائي جلب له غضب السلطات الاستعمارية بالجزائر ، و ألقي عليه القبض و صودرت أفلامه وحكم عليه بعشر سنوات سجا ، لحسن حظه أفرج عنه بعد

إعلان استقلال الجزائر ، رافق بعد ذلك المخرج روني فوتييه في أعماله السينمائية كمدير للتصوير .

41 – جاك شاربي أو شاربيت ممثل ومخرج و كاتب فرنسي ، 13 جوان 1929 – 1 يناير 2006 .

بعد الحرب العالمية الثانية التحق بمعهد الموسيقى لمدينة تولوز الفرنسية و كان يبلغ ست عشرة سنة و بعدها اشتغل في التمثيل المسرحي ، ومن بين المسرحيات التي قدمها " إليكتر " لجون جيرودو و "كاليغولا "لألبير كامو ، ثم انخرط في نقابة الممثلين ، و حين اندلعت حرب التحرير الجزائرية انضم إلى شبكة جونسون لمساعدة الجزائريين في فرنسا ، وكان ذلك سببا في إلقاء القبض عليه في فبراير سنة 1960 و يتمكن من الهرب في ديسمبر من نفس السنة ، ليستقر بتونس و يتصل بالمفكر فرانز فانون ، ويستمر في عمله الإنساني بمساعدة الأطفال الذين يعانون من صدمات الحرب و أثارها ، وبعد استقلال الجزائر ، يقوم بإخراج أول فيلم سينمائي له و هو الوحيد كذلك " سلم فتي " 1964 .و في السنة الموالية يعود لباريس بعد إصدار قانون العفو 1965 .ويعود مرة أخرى لمهنة التمثيل و بخاصة مع الأعمال التلفزيونية ومنها :

- الإستيلاءعلى السلطة من طرف لويس الرابع عشر 1966 .

-معلق في الفيلم الوثائقي " حرب الجزائر " إيف كوريار و فيليب مونييه 1972 .

- ماما روزا – مسلسل تلفزيوني 1978 .

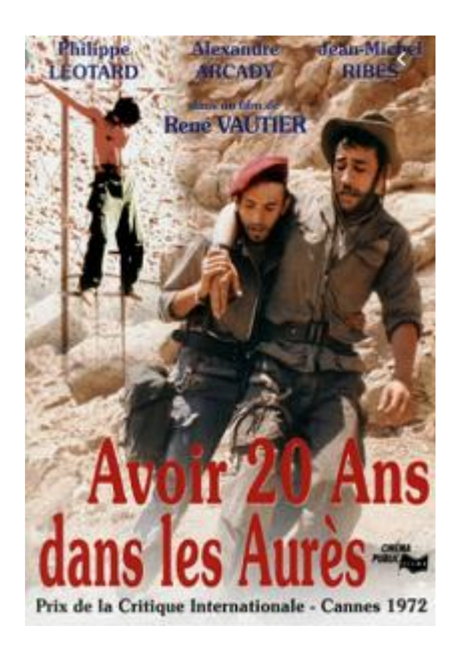
و آخر أعماله : العمارة و هي سلسلة تلفزيونية 1984 .

ومن مؤلفاته :- الجزائر بالسجن ، منشورات مينوي 1961 .

- أطفال الجزائر ، ماسبيرو 1962 .

- الممثلون ، المطبوعات الجامعية الفرنسية .1997 .

-حاملو الأمل 2004 .



أحد أفلام روني فوتييه

السينما الجزائرية

يواجهنا في هذا الجزء من العرض التاريخي مصطلح جديد " السينما الجزائرية " و هي السينما التي أنتجها أو أخرجها جزائريون و على هذا الأساس يكون المخرج و مدير التصوير طاهر حناش أول سينمائي ينتج عملا سينمائيا جزائريا ، فبعد تجربة طويلة مع السينما الفرنسية كممثل و مدير تصوير ، يتحول إلى الإخراج مع فيلمين وثائقيين يعدان البداية الحقيقية للسينما الجزائرية ، الفيلم الأول عن موطنه الأصلي قسنطينة وهو نفسه عنوان الفيلم 1950 ، و الثاني " غطاسي الصحراء "1953 ، والمهم أنه عرض في بعض قاعات العاصمة الجزائرية ، و بهذا يحقق شرطين أساسيين اهمهما أنه من إنتاج جزائري خاص ، و الشرط الثاني عرضه في القاعات ، لأن السينما في حقيقتها عرض داخل قاعة عن طريق نظام العرض الضوئي و أمام جمهور فتكتمل بذلك شروط العرض السينمائي .

بعد سنة تندلع حرب التحرير الجزائرية ، و تتسارع الأحداث نحو التأزم ، ولكن السلطات الفرنسية حاولت السيطرة على الأوضاع مدركة فعل الصورة في توجيه الجماهير ،و بخاصة داخل الجزائر ، ففي العاصمة الفرنسية تمتلك فرنسا من الإمكانات ما يجعلها تتحكم في الإعلام و توجيه الرأي العام الفرنسي حسب ما تريد ، ولهذا لم تستطع جبهة التحرير الوطني أن تخترق الإعلام الفرنسي ، و عرفت نهاية سنة 1954 بداية بث محطة التلفزيون في العاصمة ، وكان طاهر حناش أول جزائري يستعان به لتصوير مجموعة أفلام تلفزيونية للبث للمشاهد العربي ، إذ حرص المسيرون للتلفزيون أن تكون البرامج مزدوجة اللغة و العروض .

و في ظرف عدة شهور تمكن الفنانون الجزائريون من تصوير العديد من الأفلام القصيرة و منها " الحموات " لمصطفى غريبي و"الدجالون " لعلي عبدون و" سي الهواري " لمحمد توري و" هلاك" لرضا فلكي و " إرجل السماء " لمصطفى بديع "قطعة لشخصين " لبوعلام رايس وكذلك " أموال الحبوس "و"القاضي و البكماء " و"إبن المتسولة "و " البيت المسكون " و"مريض الوهم "لمحي الدين باش طرزي ، وهناك فيلم مطول لعبد الحليم رايس " التضحية غير المجدية " و كان ذلك سنة 1955 .

وهذا يعني أن الجزائريين عرفوا نوعين من العروض الفيلمية ، و دائما مع طاهر حناش ، ففي البداية كانت الأفلام الوثائقية ، و بعدها تم تصوير مجموعة قصص مصورة للبث التلفزيوني مما يدل على أن الفنانين الجزائريين كانت لهم من الإمكانات ما يؤهلهم لإنشاء سينما خيالية محلية ، و بخاصة مع وجود فرق مسرحية مشهورة مثل فرقة محي الدين باش طرزي ، و لكن السلطات الاستعمارية و بخاصة المعمرين الفرنسيين سعوا إلى أن تبقى وسيلة الصورة و السينما في أيديهم حتى يتمكنوا من السيطرة على أفكار الإعلام وتوجيهه حسب مخططاتهم السياسية و العسكرية .

لقد عرفت الجزائر ما بعد الحرب العالمية الثانية حركة ثقافية لا مثيل لها ، فبعدما سيطر رشيد قسنطيني على خشبة المسرح ، حتى عد بحق رائد الكوميديا الجزائرية ، إذ أطلق عليه " شابلين العرب " **-1-** بدأت الساحة المسرحية تظهر لمحبي الفرجة المسرحية وجوها جديدة ،و عرف بذلك النشاط المسرحي حركة قوية ونشاطا لافتا ، يقول في هذا الشأن المسرحي سلالي علي .

" و عرف المسرح الجزائري آنذاك دفعا جديدا و أصبح الهواة الجدد الذين تكونوا على خشبات المسرح ممثلين محترفين بامتياز ، ويسرني أن أذكر أسماءهم ، وهم محمد توري وعبد القادر سفيري و سيد علي رويشد وحسن حسني و علي عبدون و الطيب أبو الحسن وقصدرلي و سيساني ومحمد حلمي و محمد ونيش ومحمد ابراهيمي و حبيب رضا و علال المحب ومحمد دباح وطه العامري وعبد الحليم رايس و الممثلات الرائعات الأوانس كلثوم و لطيفة ونورية ووهيبة .." – 2-.

و هذا دليل قاطع على امتلاك الساحة الجزائرية طاقات في التمثيل تشكل خزانا للسينما الجزائرية ، غير أن السينما تعتمد على بعض المهن الصعبة المرتبطة بالمخابر كتحميض الصورة و التقاط الصوت ، وربما كان ذلك عائقا أمام طاهر حناش لكي يصور فيلمه " غطاسي الصحراء " فالتقاط الصوت بطريقة دقيقة منعه من توظيف الحوار حتى يكتمل الإخراج ، فاستعاض عن الحوار بالسارد المعلق الذي يقوم بمهمة التصريح عما تريده الشخصيات ،وبهذا تحول

الفيلم الخيالي إلى فيلم وثائقي ، و إذا أضفنا إلى هذا عدم امتلاك المعمرين أنفسهم شركات مختصة في الإنتاج السينمائي ، وبالتالي تبعيتهم المطلقة للمخابر الباريسية .
وبهذا يمكننا أن نفهم بيسر سبب قبول مجموعة من المجاهدين في الجبال الجزائرية فكرة إنشاء مدرسة للسينما ، التي دعت إليها جبهة التحرير الوطني سنة 1957 ،و ذلك بعد مرور ثلاث سنوات على إعلان الثورة، فالسبب الجوهري فني ، إذ كان لبعض الجزائريين ميل دفين في مداعبة الكاميرا ، و لكن الظروف منعت الكثير من تحقيق آمالهم ، ولهذا تلقف مجموعة مجاهدين وعددهم أربعة و قيل خمسة **-3 -** فكرة إنشاء مدرسة للسينما بدون وسائل جادة لتحقيق ذلك ما عدا الإيمان بقضيتهم و الثقة في جديتهم ، وتذكر الوثائق التاريخية وجود تسعة جنود كلفوا بمهمة تصوير ما يحدث في الجبال الجزائرية سقطوا كلهم من أجل وطنهم و هم :
مولود فاضل ومعمر زيتوني وعثمان مرابط و مراد بن رايس و صلاح الدين سنوسي وخروبي غوثي مختار و عبد القادر حسينا وسليمان بن سمان و علي جناوي الذي كان من بين المخرجين الجزائريين في التلفزيون الفرنسي بالجزائر ، والذي التحق بالثورة التحريرية لتدعيمها بخبرته في مجال الإخراج ، إلا أنه قتل قبل أن يقوم بواجبه .
ومع أن إدارة المدرسة أسندت للمخرج الفرنسي روني فوتيي إلا أن الراغبين في تأسيس سينما تخدم القضية كانوا كثر ، و هذا ما شجع الحكومة المؤقتة و جيش التحرير الوطني على إنشاء مصلحتين للسينما ، الأولى سنة 1960 "لجنة السينما " و بعدها "مصلحة سينما الحكومة المؤقتة " التابعة للحكومة المؤقتة و الثانية " مصلحة السينما " التابعة لجيش التحرير الوطني ، و جميع الأعمال السينمائية كانت تبعث للمخابر اليوغوسلافية للتحميض .**-4 -**
لقد كان سبب إنشاء سينما جزائرية سياسي خالص ، وهو إدراك المسؤولين أهمية السينما في التعريف بالقضية الجزائرية في المحافل الدولية ، و بخاصة الدول الصديقة المساندة لثورات التحرير في العالم ،

ومنها الدول العربية كمصر و تونس و المغرب ، و بالفعل حدث ما كان يرمي إليه المخططون للثورة ، فظهرت مجموعة أفلام وثائقية منها "مدرسة التكوين السينمائي "و " ممرضات الجيش الوطني الشعبي " و "الهجوم على مناجم الونزة " 1957 ، اما " جزائرنا " فقد اسند إخراجه إلى ثلاثة من رواد السينما الجزائرية الدكتور شولي و جمال شندرلي و محمد لخضر حامينا اعتمادا على فيلم أخرجه روني فوتيي 1954 ، مع إضافة الكثير من الصور الحديثة من الجبال الجزائرية التقطها جمال شندرلي أحد مساعدي المخرج طاهر حناش.**5-** -
وهناك أسماء لم يظهر جهدها الفني إلا بعد الاستقلال مع أنها شاركت في ثورة التحرير مع نهاية 1958 ، ومن بينهم أحمد راشدي و نصرالدين قنيفي و محمد قنز .



المخرج و الممثل جمال الدين شندرلي

إن الثقة التي وضعت في الكثير من الجنود الجزائريين حفزتهم على اختصار المسافات و مسابقة الزمن ، فسرعان ما أتت الثمار أكلها ، إذ قام

جمال شندرلي مجددا بتحقيق فيلم قصير جديد "ياسمينة "1961 و ذلك وراء الكاميرا كمخرج مع محمد لخضر حامينا ، ونفس الثنائي يخرج مرة أخرى فيلمين تاريخيين "صوت الشعب " و "بنادق الحرية " دائما في نفس السنة 1961 ، ومن بين الأسماء اللامعة نذكر أحمد راشدي الذي سيظهر دوره الريادي مع السنوات الأولى لاستقلال البلاد ، مع أنه كان من بين السينمائيين الذين التحقوا بصفوف الثورة منذ 1959 .

كانت ظروف حرب التحرير هي الباعث على وجود تلك الأعمال السينمائية ، ونعني بالسينمائية أن طريقة التصوير كانت بأشرطة فيلمية تتطلب المونتاج و التحميض ، وبالتالي المشاهدة بآلات عرض ، وهذا ما يجعل كل الأفلام المصورة سينمائية ، و مع ذلك يبقى التساؤل ملحا هل يمكن اعتبار ما قام به روني فوتيي و بيار كليمون و جمال شندرلي و محمد لخضر حامينا أعمالا سينمائية بالمعنى الحرفي للكلمة ؟
هذا السؤال طرح منذ بداية السينماتوغراف حين بدأ الأخوان لوميار يعرضون أفلامهم على القاعات الباريسية ، و هي أفلام وثائقية ، ترمي إلى تتبع ما يجرى في الواقع و نقله إلى المشاهدين بواسطة أفلام ثم آلات عرض ، وحين تطورت الصناعة السينمائية و اكتملت شروط وجودها ببناء قاعات خاصة للعرض و توفير جميع شروط المشاهدة بدأ السينمائيون يبدعون القصص الخيالية أو على الأقل يحولون ما كتبه الأدب إلى السينما ، وبذلك يمكننا فهم أسباب ظهور سينما جزائرية وثائقية خالية من السرد الخيالي ، فالظروف الحربية تفرض أسبقية الحقيقي على الخيالي ، و التصوير في مواضع تواجد الجنود الجزائريين يعتبر مغامرة خيالية نظرا لضراوة و قساوة حرب التحرير الجزائرية وبخاصة من الطرف المضاد أي الجيش الفرنسي ، و كان الإعلام الفرنسي طاغيا بحيث يوهم الرأي العام العالمي أن القضية الجزائرية شأن داخلي و لا وجود لانتفاضة ضد الاستعمار و إنما يوجد مجموعة من الخارجين عن القانون تم القضاء عليهم ، و لهذا كان من الضروري محاربة المستعمر بنفس وسائله الإعلامية ، لإقناع الرأي العام

العالمي بحقيقة ما يجري في الجبال الجزائرية ، و هذا ما حدث بالفعل ، بيد أن الأفلام الوثائقية الجزائرية لم يشاهدها المشاهد الجزائري إلا بعد مرور سنوات عديدة بعد استقلال البلاد ، وهذا ما يجعل الخصوصية التاريخية تطبع السينما الجزائرية في النشأة و في طبيعتها كسينما تعرض أمام مشاهد ، بل إن أبطال الثورة التي خلدتهم الكاميرا لم يحالفهم الحظ في مشاهدة صورهم أثناء الثورة ، وبهذا يمكن القول إن السينما الجزائرية التي أنجبتها الثورة كانت ضرورة سياسية فرضتها ظروف الحرب السياسية ، مما يجعلها تقبل الاستثناء ، وهذا لا يعني أنها كانت عاجزة عن إيجاد سينما خيالية ، فجبهة التحرير أنشأت في سنة 1957 فرقة مسرحية كانت تعرف بالقضية الجزائرية في الخارج من خلال نصوص مسرحية خيالية أو شبه خيالية ، و لكنها كانت تمتلك من الطاقات التمثيلية ما يجعلها تنتج أكثر من فيلم خيالي ، وهذا ما يؤكد على طبيعة الظاهرة السينمائية التي تحتاج إلى تقنيين و فنيين مختصين في مجالات المهن السينمائية ، و وسائل تقنية من مخابر ظلت الجزائر تفتقدها عشرات السنوات بعد استقلالها ، ومن هنا نفهم لماذا لم تعرف الجزائر صناعة سينمائية قبل 1954 ، مع أنها كانت تمتلك خزانا كبيرا من الممثلين الممتازين ، بل إن المعمرين في الجزائر لم يستطيعوا أن يؤسسوا سينما كولونيالية مع كل التسهيلات التي كان الميتروبول الفرنسي يوفرها لهم .

حرب التحرير من خلال الأفلام :

مباشرة بعد استقلال الجزائر في شهر جويلية من سنة 1962 ، قامت السلطات الجزائرية بالتفكير في مستقبل السينما في البلاد ، و هكذا أنشأ المركز السمعي البصري و الشركة الخاصة "أفلام القصبة " للإنتاج و التوزيع ،وفي السنة الموالية انشأ الديوان الجزائري للأخبار 1963 ، الذي سيتحول

سنة 1964 إلى المركز الوطني للسينما ، ويدعم بمؤسستين هامتين المعهد الوطني للسينما ومهمته تكوين إطارات السينما ، و السينماتيك الوطنية الجزائرية التي ستقوم بدور إعلامي للمنتوج السينمائي الجزائري و الدولي وبخاصة سينما العالم الثالث .



معركة الجزائر لجيلو بنتكرفو

و في سنة 1967 يحل المركز الوطني للسينما و المعهد الوطني للسينما ، و تنشأ مؤسسة جديدة تكلف بإنتاج و توزيع المنتوج السينمائي الوطني و الأجنبي داخل القاعات و متاحف السينما ، و بخاصة مع ثراء قاعات العرض السينمائي التي بلغ عددها أنذاك 350 قاعة .-6 -
لم يكن من السهل نسيان أحداث حرب دامت سبع سنوات ، و بخاصة أن أثارها لما تزال ماثلة أمام كل جزائري في مرحلة الستينات من القرن العشرين ، كما أن الشعب الجزائري و بكل أطيافه شارك في الحرب بطريقة إرادية أو لا إرادية ، فالاعتزاز بالثورة كان كبيرا ، لذا كان الهاجس الوحيد للسينمائيين الجزائريين ، إعادة بناء أحداث الثورة حسب ما يمليه الخيال

ليتاوفق مع حقائق الحرب ، و بهذا يمكن أن نفسر توجه السينمائيين إلى الأفلام الحربية لمدة عقد من الزمن دون الالتفات إلى المواضيع ذات الصلة المباشرة بالواقع اليومي .
و لم يكن مفاجئا حين أقبل أحد المخرجين الجزائريين على إخراج فيلم سينمائي روائي خيالي عن ثورة التحرير الوطنية ،فالمخرج مصطفى بديع كان من الذين شكلوا الخلية الأولى في التلفزيون الجزائري زمن الاحتلال الفرنسي سنة 1955 ،وكان جهدهم منصبا على الاسكتشات المصورة و الأفلام التلفزيونية القصيرة و الطويلة ، وهذه التجربة في إنتاج الأفلام الخيالية كانت نتيجتها الخبرة الواسعة التي تحصل عليها مصطفى بديع في إخراج الأفلام الخيالية ، ولهذا كانت أول تجربة سينمائية جزائرية خيالية قام بها مصطفى بديع بفيلم متميز " الليل يخاف الشمس "1965 من إنتاج



الليل يخاف من الشمس لمصطفى بديع

مشترك بين التلفزيون الجزائري و المركز الجزائري للسينما الذي أنشأ سنة 1964 ، و الذي سبق له أن أنتج فيلما سابقا مع المخرج الفرنسي جاك شاربي . 1964
لم يكن من السهل اختصار عقد من الزمن ، ومعاناة قرن و نصف من الاستعمار في فيلم واحد ، لذا حاول مصطفى بديع أن يقول كل شيء في عرض واحد ، وهذا ما يفسر طول الفيلم 3 ساعات و ربع .



المخرج مصطفى بديع

يبدأ الفيلم قبل اندلاع الثورة بسنتين ، إلى غاية انتهائها ، و تقسم الأحداث إلى أربعة فصول على غرار التقسيم الروائي أو المسرحي ، أولها " الأرض كانت عطشى " و يليها " دروب السجن " و "قصة صليحة " و أخيرا " قصة فاطمة " .

كان الفيلم جزائريا بصفة شبه كلية سواء من جهة التمثيل إذ نجد ياسمينة و مصطفى كاتب و سيد أحمد أقومي و طه العامري ، و من الناحية التقنية نجد غوثي بن ددوش لمساعدة مصطفى بديع و محمد بوفلة في إدارة الإنتاج ونور الدين عادل في التصوير و حسين عبد القادر في هندسة الصوت أما التركيب فقام به لعرافي مواقي ، بينما كانت الموسيقى لجيرار دولاسيس . وربما كان هذا سببا قويا لاعتبار " الليل يخاف الشمس " أول فيلم جزائري بعد استقلال الجزائر .



الليل يخاف من الشمس لمصطفى بديع

أما المدرسة السينمائية التي أنشأت أثناء ثورة التحرير فكان توجهها مخالفا تماما للمدرسة التلفزيونية ، فتتبع الحقائق و عرضها على المشاهد كان شغلها الشاغل ، وكان تأثير روني فوتيي عليها واضحا من حيث الاعتماد على الأفلام الوثائقية دون الخيالية ، و لهذا يواجهنا المخرج أحمد راشدي بأول فيلم له بعد الاستقلال " فجر المنبوذين " 1965 ، من إنتاج المركز الوطني للسينما ، بمساعدة قيمة لروني فوتي في كتابة التعليق بمساعدة الروائي الجزائري مولود معمري .

كان الفيلم وثيقة تاريخية لحقيقة الاستعمار و مآسيه في القارة الإفريقية بكاملها ، و قد اعتمد فيه المخرج على الوثائق المصورة التي كانت بحوزة المؤسسات السينمائية الفرنسية ، وهو مجهود كبير قام به المخرج مع مساعديه الجزائريين منهم لمين صخري و عبد الرحمان بوقرموح و محمد بوعماري ونصر الدين قنيفي ورابح دبوز وسيدي بومدين دحمان و نجمة أوشان .-7 -

و بهذا الفيلم الثاني اكتملت ملامح السينما الجزائرية اليافعة ، بل إن موضوع الثورة لم يخرج بعد ئذ عن اتجاهين اثنين ، الأفلام المعتمدة على الحقائق الثورية ، و أخرى تعتمد على الخيال .

الأفلام الثورية التاريخية :

أول ما قام به سينمائيو الجبل أمثال أحمد راشدي ومحمد لخضر حامينا غداة الاستقلال توظيف الصورة و السينما لخدمة الحقيقة التاريخية ، ولهذا اتجه المخرجان إلى الأفلام الوثائقية لأنها الأقدر على وصف الحقائق ، وكانت تلك الأفلام تمثل السينما بمفهومها الواسع لديهم ، لأنه اتجاه عرفوه منذ أن داعبوا كاميرات التصوير في الجبال والوهاد الجزائرية ، وهكذا أخرج أحمد راشدي " استفتاء " 1962 , "الأحد للجزائر "و "لجنة تسيير " و تبسة السنة صفر " 1963 .و " مشاكل الشباب " و " أياد مثل العصافير " و "كوبا نعم " و " حملة للتشجير " 1964 وهي كلها أفلام وثائقية قصيرة .أما " فجر المنبوذين " فقد أخرجه راشدي سنة 1965 .و هو فيلم وثائقي مطول .
وسار لخضر حامينا نفس المسار ، إذ أخرج مجموعة أفلام وثائقية قبل فيلمه الروائي الطويل " ريح الأوراس " 1965 ، ومن أفلامه الوثائقية التي أخرجها مباشرة بعد الاستقلال " وعد جويلية " 1963 و في نفس السنة يقدم ثلاثة أفلام أخرى منها " مرة أخرى " و " النور للجميع " و" البحث عن العلم " .و في السنة الموالية يخرج أربعة أفلام وثائقية أخرى هي " الحرب في الأكواخ " و" حافظ " و " ولكن في أحد أيام نوفمبر ".
أما في سنة 1965 فلم يخرج حامينا إلا فيلما وثائقيا واحدا " القدس " ليتحول بعد ذلك إلى الأفلام الروائية الخيالية مع " ريح الأوراس " .



ريح الاوراس لمحمد لخضر حامينا

و إذا تتبعنا جميع المخرجين الجزائريين نجدهم يتجهون في بداية مسارهم السينمائي نحو الأفلام الوثائقية ، فمحمد سليم رياض أخرج فيلمين وثائقين قبل فيلمه " الطريق " 1968 ، وكذلك توفيق فارس شارك في إخراج سبعة أفلام وثائقية قصيرة قبل فيلمه " الخارجون عن القانون " 1968 ، أما محمد بوعماري فقد أخرج ثلاثة أفلام قبل " الفحام " 1972 .

ولكن السينما الجزائرية عرفت أول قفزة نوعية وعالمية مع فيلم "معركة الجزائر "للمخرج الإيطالي جيلو بنتكرفو سنة 1966 ، و هو فيلم يعرض أحداثا حقيقية من الثورة الجزائرية ، فالسيناريو مأخوذ عن كتاب لياسف سعدي طبع سنة 1963 ، يذكر فيه الكاتب دقائق ما جرى فيما أطلق عليه معركة الجزائر ، بل إن ياسف سعدي شارك في كتابة السيناريو وساعده فرنكو ساليناس ، و قام ياسف سعدي بتمثيل شخصيته ، إذ كان أحد أبرز الوجوه في معركة الجزائر ، وبهذا لم يبتعد الفيلم السينمائي الطويل عن الثورة الجزائرية و لم يبتعد عن الحقائق التاريخية ، غير أن الفيلم لقي نجاحا كبيرا في الجزائر و خارجها ، و تحصل على جائزة الأسد الذهبي في مهرجان البندقية الدولي سنة 1966 .

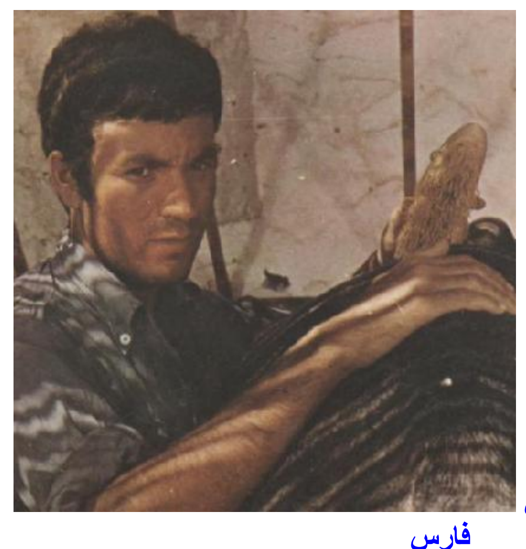


الطريق لمحمد سليم رياض

ولم يخرج محمد سليم رياض بفيلمه " الطريق "1968 عن الأحداث التاريخية، فكان صاحب السيناريو ، و لهذا فهو يعرض مرحلة مهمة من حياته ، حين ألقي عليه من طرف الجيش الاستعماري ، فالفيلم يتخذ السجن مسرحا له ، ودقائق ما يحدث للسجناء في ظل نظام استعماري يحاول القضاء على كل فكر مناهض له .

و في الثمانينات يقوم المخرج عمار العسكري بتصوير فيلمه الحربي الثاني بعد " دورية نحو الشرق "1972 ، اعتمد فيلمه الثاني " ابواب الصمت " 1987 أيضا على حقائق تاريخية ، إذ عرض فيه موضوعا جديدا وهو مساهمة الجزائريين في خدمة الثورة من داخل الثكنات الفرنسية ، وهو الأمر الذي حير المؤرخين حول نسبتهم إلى الثورة أو خيانتهم لها ، وقد صرح المخرج في العديد من اللقاءات أن قصة الفيلم واقعية حقيقية .

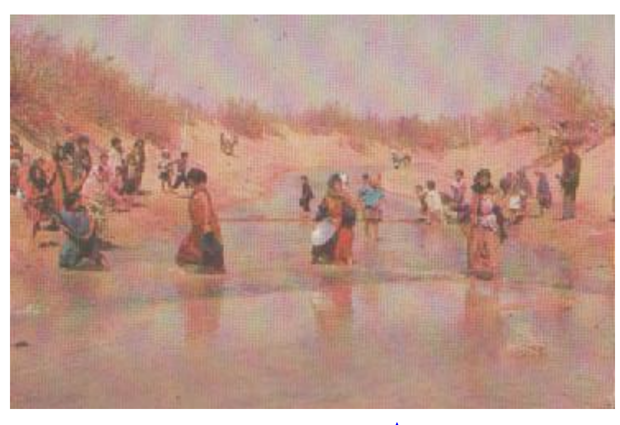
كما يمكن تصنيف آخر فيلم للمخرج أحمد راشدي "مصطفى بن بولعيد أسد الأوراس " 2008 ، ضمن الأفلام التاريخية لأنه يعتمد على أحداث تاريخية مرت بها الجزائر ، قبل اندلاع حرب التحرير و أثناءها لينتهي الفيلم باستشهاد بطله مصطفى بن بولعيد إثر انفجار قنبلة مدسوسة في جهاز إرسال عثر عليه الجنود الجزائريون ، وقد واجه الفيلم بعض الانتقادات


الخارجون عن القانون لتوفيق فارس

حول صحة بعض الأحداث التاريخية ، مما يجعله وثيقة تاريخية أكثر منها فنية ، مع أن الفيلم لا يخلو من البصمة الفنية للمخرج ،إلا أن الجانب التاريخي يحد من حرية المخرج و يجعله مرتبطا بالحدث التاريخي بصفة مطلقة .

الاتجاه الثاني في الأفلام الحربية الجزائرية اتجه إلى التعبير عن أحداث ثورة التحرير بالاعتماد الكلي على الخيال ، وهذا ما أعطى للمخرجين الكثير من الحرية في معالجة الأحداث التاريخية ، وساعدهم كذلك على التطور في بناء الأحداث حسب ما تقتضيه قوانين السيناريو و الفيلم السينمائي .

وكانت البداية مع محمد لخضر حامينا مع فيلمه " ريح الأوراس " 1966 ، كتب المخرج السيناريو بمساعدة توفيق فارس ،و تحصل الفيلم على جائزة السينمائي سنة 1966 ، وسيخصص Canneأول عمل سينمائي بمهرجان كان محمد لخضر حامينا لموضوع الثورة الجزائرية الجهد الأكبر من حياته



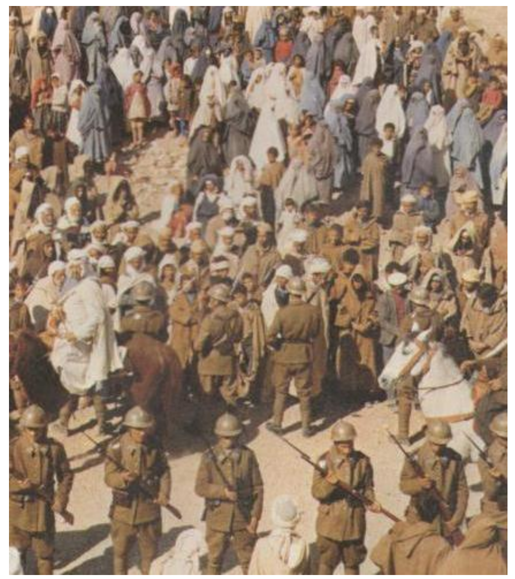
الإرث لمحمد بوعماري

الفنية ، ودائما برؤية مختلفة ، ففيلمه الثاني عبارة عن كوميديا فكاهية كتبها الممثل المسرحي " رويشد " للمسرح ، لكن حامينا حولها إلى فيلم سينمائي بنفس العنوان "حسان تيرو " 1968 ، ليظهر لنا الجانب الخفي من الأحداث التاريخية ، فحسان تيرو إرهابي في نظر الجيش الفرنسي ، ولكنه في حقيقته أرغم على القيام بالأعمال التي تبدو بطولية ، وبهذا حاول المخرج أن يغوص في أعماق الشعب الجزائري ليبين مدى معاناتهم لحرب لم ترحم أحدا منهم .

و في فيلمه الثالث " ديسمبر " 1971 يستعين بالكاتب الفرنسي جورج أرنو George Arnaud لكتابة السيناريو ، وهذا ما يجعل الرؤيا تختلف تماما عن الفيلمين السابقين ، ففي هذا الفيلم تتداخل الأبعاد التاريخية بين نظرة القائد الفرنسي و بين أحد المسجونين الجزائريين و هو أحد المسؤولين بجبهة التحرير الوطني ، ويصور الفيلم الحيرة التي يعيشها القائد الفرنسي بين تعذيب السجين للحصول على المعلومات المهمة أو القيام بطرق أخرى للوصول إلى نفس النتيجة .

أما في فيلمه الثالث فحاول لخضر حامينا أن ينقل إلى الشاشة الكبيرة معاناة الشعب الجزائري خلال الاستعمار الفرنسي ، وبالتحديد ما بين 1939 إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية سنة 1954 ، وهذه المرة كتب المخرج

السيناريو بنفسه ، و قسم فيلمه " وقائع سنين الجمر "1974 إلى خمسة مراحل هي :



وقائع سنين الجمر لحامينا

1 – سنوات الرماد

2 – سنوات الجمر .

3 – سنوات النار .

4 – سنة العربة.

5 – سنة الهجمة.

6 – الحادي عشر من نوفمبر 1954 .

توج الفيلم بأكبر جائزة في مهرجان كان السينمائي" السعفة الذهبية " 1975 ، و لا زال يمثل قمة العطاء الفني الجزائري من حيث الشكل السينمائي ،أما من حيث المضمون فلا يخرج عن التصنيف الخيالي ، بحيث تعتبر الأحداث المعروضة عبارة عن رؤيا ذاتية للمخرج عن تصاعد الوعي الوطني في الجزائر قبل ثورة التحرير .



الأفيون و العصا لأحمد راشدي

كما يعتبر فيلم " الأفيون و العصا "1969 للمخرج أحمد راشدي نموذجا للأفلام المعتمدة على الأدب الجزائري ، إذ قام المخرج بتحويل رواية الأديب الجزائري مولود معمري إلى فيلم سينمائي ، وبهذا فقد عرض أحمد راشدي نظرة الأدباء الجزائريين للثورة التحريرية ، و بالطبع فإن الروائي اعتمد على الخيال الأدبي لبناء روايته ، و بهذا جمع الفيلم بين الرؤيا السينمائية و الأدبية و كلاهما لم يخرج عن الخيال .

و من الأفلام التجارية التي عالجت مواقف و أحداث عن الثورة نجد " الخارجون عن القانون "لتوفيق فارس 1969 ، و الذي اعتبره بعض النقاد نظرة كاريكاتورية للثورة الجزائرية ، وتباينت رؤى المخرجين حول أحداث الثورة مابين البساطة و المباشرة مثل فيلم "دورية نحو الشرق 1971" لعمار العسكري ، والغموض و الإبهام مثل " المنطقة المحرمة 1972" لأحمد لعلام ، و السطحية مثل " هروب حسن التيرو "1974 لمصطفى بديع .



دورية نحوالشرق لعمارالعسكري

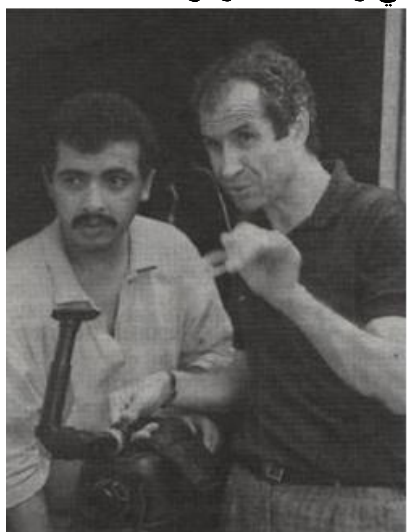
كما نجد بعض المحاولات الجماعية مثل "الجحيم في عشر سنين " 1968 ، وقد شارك فيه كل من سيد علي مازيف " اللقاء " وغوثي بن ددوش " البحر " و بوقرموح " الجواثيم " ويوسف عقيقة " جانيت " و أخيرا عمار العسكري " شهود الأمس " .وقد نال الفيلم الغزال الذهبي لمهرجان البحر المتوسط بالرباط سنة 1969 .

أما الفيلم الجماعي الثاني فهو "قصص الثورة "1969 ، و قد جمع بين فيلم "الفدائيون " لأحمد بجاوي و "المبعوث "لسيد علي مازيف و "القنبلة "الرابح لعراجي .

و الفيلم الجماعي الثالث " وقائع يومية " 1982 لم يشذ أيضا عن موضوع الثورة و الحرب ، ويحتوي على أربعة أفلام قصيرة منها " المنبوذة " للهادي قلال ، و " المعللة " لدحمان أوزيد و "يوم الزيارات " لبدر الدين بوطمين و أخيرا " المشبوه " لمصطفى منقوشي .

إلى جانب الأفلام الحربية المرتبطة بموضوعات أحداث ثورة التحرير الجزائرية الممتدة ما بين 1954 إلى 1962 ، أو أكثر تقدير ما بين 1952

إلى نهاية الحرب ، و المبنية على حقائق واقعية أو ما تعرض للموضوع انطلاقا من خيال المؤلفين ، فإن الموضوع يرتبط أيضا بالأفلام ذات الصلة غير المباشرة بالثورة ، و منها ما تعرض لموضوع معاناة الشعب الجزائري أثناء الاستعمار الفرنسي منذ بدايته 1830 إلى غاية الخلاص منه ، و هكذا يأخذ فيلم بن عمر بختي " ملحمة الشيخ بوعمامة " 1983 ، مكانة هامة في التسلسل التاريخي لموضوع الحرب الجزائرية ، فقد صور المخرج مرحلة هامة من تاريخ المقاومة الجزائرية في الجنوب الغربي الجزائري ، بداية من 1880 لحظة الإعلان عن محاربة المستعمر من طرف الشيخ بوعمامة و أتباعه ، و يمثل الشيخ بوعمامة نموذجا للمقاومة الجزائرية للجيوش الفرنسية في المناطق الداخلية من البلاد ، وبالتالي فهو يرمز لكل من قاوم المستعمر ولم تذكره السينما الجزائرية أمثال الأمير عبد القادر الجزائري أو المقراني و فاطمة نسومر .



المخرج لمين مرباح

وإلى الشمال بمنطقة الونشريس من نفس المرحلة كان يعاني الشعب الجزائري الفقر و الحرمان جراء القوانين الاستعمارية الجائرة التي منحت

السلطة للمعمرين الحق للاستيلاء على أراضي الجزائريين ذات الصبغة العشائرية و القبلية فكان فيلم الأمين مرباح " بني هندل " 1976 ، صورة صادقة عن معاناة الجزائري في منطقة الشمال من القوانين المدنية التي سنتها السلطات الاستعمارية لصالح المهاجرين الأوروبيين رغبة منها في جلب الأوروبيين إلى الجزائر ، و التحديد الزمني لأحداث الفيلم كان ما بين 1873 على 1900 .- 8 -
يصور الفيلم بطريقة درامية الحيل المستعملة من طرف المعمرين أو مساعديهم من السكان الأصليين للاستيلاء على الأراضي الزراعية ، و الحالة التي يتحول إليها السكان أصحاب الأرض الشرعيين،إلى عمال عند أصحاب الأراضي الجدد ، لهذا سعى المخرج إلى التصريح المباشر،و إبراز المفارقات لتبيين الحالة الاقتصادية و السياسية و الاجتماعية للمجتمع الجزائري مع نهاية القرن التاسع عشر .

بينما يعالج الفيلم الطويل الوحيد لعبد العزيز طولبي " نوة " 1972 ، الحالة التي يعيشها ملاك الأراضي الجزائريين بعد أحداث الفيلم السابق بخمسين سنة ، ودور القايد و الباشاغا في تطويع السلطة الاستعمارية لمصالحهم الخاصة ، فالدركي الفرنسي يقمع الفلاحين بقوة القانون الاستعماري ، وهو نفس القانون الذي سمح للمعمرين بالتوسع على حساب أملاك الجزائريين ، و لكن فيلم نوة يركز على سلطة المعاونين للمستعمر ، واتهامهم بشكل مباشر أنهم السبب الحقيقي فيما وقع للفلاحين الجزائريين من مآسي قبل و أثناء الثورة التحريرية-9 - إلا أن الفيلم على غير العادة يسرد علينا قصة حب بين الفتاة نوة و جبار ، و بالرغم من سلطة القايد و الدرك إلا أن قوة الأمل كانت أكبر إذ استطاع البطلان اللجوء إلى مكامن المجاهدين و في ذلك نصر للإصرار و الأمل .
ومع أن الفيلم يحوي بعض العناصر السردية غير المنطقية مثل مصير أبناء الإقطاعي الملتحقين بصفوف المجاهدين وهذا ما يتحمله صاحب القصة الروائي طاهر وطار .-10 –

و تظل الحرب ماثلة في مواضيع أفلام تعرض مرحلة ما بعد الاستقلال في تمازج تام ، و كأن الماضي لا يزال حاضرا ، ففي فيلم " الميراث " لمحمد بوعماري 1974 ، تبقى الأثار حية من خلال أثار التهجير من أرض الوطن ، و من خلال الألغام



نوة لعبد العزيز طولبي

المزروعة في أماكن مختلفة من الحدود الجزائرية ، وكذلك الآثار النفسية العميقة التي تتجلى في أزمات البطل الذي كان مسؤولا سياسيا في الثورة الجزائرية ، وبهذا يصبح الميراث الذي خلفه المستعمر سلبيا ، سيعاني منه الجزائريون لعقود عديدة بعد الاستقلال .

ونفس الموضوع يعالجه شريط غوثي بن ددوش " حصاد الفولاذ " 1982 ، الذي ركز على الأضرار الجسدية الناتجة عن وجود الألغام في إحدى القرى الحدودية الجزائرية ، و بالتالي استمرارية معاناة الشعب الجزائري من أثار الاستعمار حتى بعد مرور عقد من الزمن على زواله ، فالمستعمر موجود من خلال أثاره المادية التي تستفز الذاكرة لتذكر أحداث الحرب الجزائرية .



حصاد الفولاذ لغوثي بن ددوش

و قد يكون كل من محمد بوعماري و غوثي بن ددوش قد أظهرا سبب معالجة الجزائريين من سينمائيين أو روائيين لموضوع الثورة، حتى أنه ليبدو أهم من أي موضوع قد يساير تطور المجتمع الجزائري ، فأثار الثورة لما تزال عالقة في الأذهان و ملموسة النتائج بالنسبة لمناطق عديدة من الجزائر .

ومع أن الأفلام الحربية سيطرت على الساحة السينمائية خلال العقد السادس و السابع من القرن العشرين ، إلا أن موضوع الثورة لم يأخذ حظه الوفير من اهتمام السينمائيين الجزائريين ، فالأفلام المنجزة قليلة جدا نظرا لأهمية المرحلة التي شهدتها الجزائر ، بل إن العديد من الأفلام طرحت الموضوع بسطحية ،و كان الغرض من إنجاز تلك الأفلام عرض التاريخ أكثر من الاستفادة منه ، أوعلى الأقل فهم الحاضر من خلال التاريخ ، و هذا ما سعى إليه كل من محمد بوعماري و غوثي بن ددوش .

و الغريب في الأمر أن فيلم أحمد راشدي " مصطفى بن بولعيد " 2008 لم يخرج عن النمطية المعتادة ،و بهذا يبقى موضوع حرب التحرير حبيس نظرة جزئية للأحداث التاريخية ، و لا يمكن طرح الموضوع إلا إذا ابتعد السينمائيون عن الحقائق ليصبح الخيال منطلقا حرا لعرض التاريخ .

من هذا المنظور يواجهنا الفيلم الأخير للمخرج الجزائري المغترب رشيد بوشارب " الخارجون عن القانون " 2010 الذي يركز من منطلق وضعيته كمغترب بفرنسا على وضعية المغتربين الجزائريين ما بين انتهاء الحرب العالمية الثانية إلى غاية اندلاع حرب التحرير الجزائرية .

تبد ا أحداث الفيلم باغتصاب الأرض من طرف القايد و المعمرين ، لتعرج على أحداث الثامن ماي 1945 وما نجم عنها من ضحايا بشرية ، وفي مشاهد مقتضبة ومؤثرة يعرض رشيد بوشارب صورة حية من تاريخ الجزائر جمع بين الخيال و الحقيقة ، إذ يتمكن الإبن الاصغر السعيد من طعن القايد الذي كان سببا في اغتصاب ارض الأجداد .

وتتسارع الأحداث ، مغيرة الفضاء المكاني ، لنجد الأبطال في أحد الأحياء القصديرية بالضاحية الباريسية ، و ينقلنا المخرج إلى عالم العصابات و المال ، لننتقل إلى عالم السياسة بلقاء الأخ الأكبر مسعود العائد من حرب الفيتنام و عبد القادر المناضل السياسي ، وهنا يحاول المخرج بذكاء عرض الرؤى السياسية المختلفة التي سبقت ثورة التحرير ، وما نجم عنها من صراعات ، في أرض المهجر ، مؤكدا بذلك على وحدة مصير الجزائريين في داخل البلاد و خارجها .

لقد وفق المخرج رشيد بوشارب في إعطاء قراءته الخاصة للتاريخ الجزائري السابق لمعركة التحرير ، ففيها توحدت الفصائل و الآراء لمواجهة العدو المشترك ، كما أن تاريخ الجزائر لم يبدأ من نوفمبر 1954 بل قبلها .

وعلى النقيض من هذه الرؤيا الجريئة يخيب محمد لخضر حامينا المشاهد الجزائري و النقاد بفيلمه " الصورة الأخيرة " 1986 ، إذ يبقى في ظل الذكريات الطفولية التي لا ترقى إلى التحليل العميق للأحداث التاريخية ، فالفيلم يصور فترة من حياة معلمة فرنسية جاءت إلى الجزائر بعد الحرب العالمية الثانية ، ومنذ البداية التي يحتضن فيها الأطفال الجزائريون و منهم مولود المعلمة ،تتبدى العلاقة المتينة التي ستربط السكان الأصليين بالوافدة الجديدة ، و على النقيض سيجلب لها ذلك غضب المعمرين ، لتغادر في

النهاية البلدة ، غير أن لخضر حامينا لا يعرض خلافات الجزائريين بالمعمرين بل يمزج ذلك بفئات مختلفة من سكان الجزائر ، وما نتج عنه من تداخل في العلاقات الإنسانية ، ليصل في الأخير إلى نفي التهمة عن المتربول الفرنسي بأنه السبب الحقيقي في مآسي الجزائريين أثناء الاستعمار ، بل إن براءة الطفل مولود تجعله ينظر إلى الجزائريين نظرة عرجاء .



السنوات المجنونة للتويست لزموري

ومنذ بداية العرض ينتاب المشاهد إحساس بأن المخرج لا يسرد الأحداث بمنظور المستعمر الفاقد لحقوقه و شخصيته ، و لكن بمنظور المعلمة الفرنسية ، أي برؤيا جديدة من الداخل ، غير أنها رؤية مخالفة للواقع و للتاريخ ، و إن كان المخرج لخضر حامينا ببراعته استطاع أن يبث الشك في نفوس المشاهدين .

وبهذا تصبح نظرة الآخر للأحداث التاريخية أهم من نظرة الجزائري ، فالوجود الاستعماري في الجزائر جعل الترابط وثيقا بين مصير الفرنسيين المتمثل في شخصية الأنسة بواي و بين المعمريين ذوي أجناس مختلفة و بين السكان الأصليين ، غيرأن السكان الأصليين لا يتحكمون في الأحداث

إلا بالمشاعر دون الأفعال ، مشاعر الطفل مولود تجاه الفرنسية ، التي ترفض في النهاية البقاء لأن الصراع الداخلي لا يعنيها .
و العمل السينمائي المثير للانتباه فيلم " السنوات المجنونة للتويست " 1983 لمحمود زموري ، فإننا نكتشف نظرة جديدة لأحداث الثورة التحريرية ، من خلال فئات مختلفة التوجهات ،تعكس حياة الجزائريين العادية المتأثرة بالأفكار السائدة في العالم الآخر ، و غير مرتبطة مباشرة بالمسيرين الفعليين للثورة و الأبطال النمطيين التي اعتادت السينما الجزائرية أن تظهرهم على الشاشة ، وذلك من خلال مغامرات الشابين بوعلام و صالح المنافية للأعراف و القيم الجزائرية في تلك المرحلة ، بيد أن محمود زموري يتحكم في توجيه الأحداث بما يتوافق مع منطق ثورة الشعب الجزائري ضد المستعمر .
بينما يسقط مهدي شارف في فخ الذكريات الطفولية مع فيلمه " خراطيش غولواز " 2007 ، إذ يتتبع ما حدث لأطياف مختلفة من سكان مدينة مغنية أثناء الصائفة الأخيرة من عهد الاستعمار ، ولهذا تبدو رؤيته كطفل للأشخاص المتصارعين في حرب التحرير الجزائرية بريئة .
في حين يسقط جان بيار ليدو في فخ الرؤية الفردية للتاريخ ، ففيلمه " ما يبقى في الواد غير حجاره أو حكايات لاتقص " 2008 ، يظهر حياة فئات متباينة التوجهات و الأديان في الجزائر ما قبل اندلاع الثورة ، بل يركز على دقائق حياتهم المتآلفة والسعيدة ثم تأتي أحداث الثورة لتبث الشقاق و الفرقة بينهم ، مما يجعل المشاهد ينظر إلى ثورة التحرير بنظرة عاطفية سلبية .
في حين يركز يحي دبوب على العلاقات الإنسانية و الأسرية أثناء الثورة و الحرب في فيلمه "أبنتي تبقى ابنتي " 2010 .
و يحاول محمد شويخ من خلال فيلمه "يوسف " 1989 تقييم نتائج الثورة التحريرية ، من خلال نظرة أحد المجاهدين الفاقد للذاكرة منذ ثلاثين سنة ليستعيدها في الزمن الراهن ، و تبدأ رحلة البحث عن الحقائق التاريخية عن طريق كشف المجاهدين المزيفين الذين استغلوا نتائج الثورة لمصالحهم الخاصة ، و يوظف محمد شويخ الرمز القرآني المتمثل في أهل الكهف و

أيقونة يوسف أي النبي يوسف عليه السلام الذي ظلمه إخوته و حاولوا قتله ، غير أن يوسف الجزائري يتم قتله فعلا من طرف إخوته في الكفاح ، و المراد من ذلك قتل الحقيقة و دفن التاريخ ، و قد سبق لمحمد شويخ أن عالج موضوعا مرتبطا بتاريخ الثورة التحريرية من خلال فيلمه " القطيعة " 1982 ، الذي أظهر مرحلة مهملة من تاريخ الجزائر أي غداة الحرب العالمية الثانية حين كانت فرنسا تواجه القوات الألمانية ، إذ بينت أحداث الفيلم مصارعة الجزائريين الرافضين للسيطرة الاستعمارية للقوى المساعدة للمستعمر ، فلا يصبح الفرنسي و الشرطي عدوا مباشرا للجزائري و إنما تغدو فئات من الجزائريين تحارب من يحاول المساس بالنظام السائد .
ومع أن النقاد و السينمائيين الجزائريين ظلوا لفترة طويلة يشتكون من سيطرة موضوع حرب التحرير على السينما الجزائرية ، ودعوا إلى تنوع في طرح المواضيع المتعلقة براهن الإنسان الجزائري ، إلا أن أحداث الثورة الجزائرية وما قبلها بقيت تشغل بال السينمائيين ،ويعود بنا غوثي بن ددوش إلى مرحلة ما قبل الحرب العالمية الثانية في الجنوب الجزائري لرصد علاقة الرسام الفرنسي جون برتي بسي قاسم أحد المتصوفين ، في فيلمه الأخير " أرخبيل الرمل " 2010 ، و القصة مقتبسة من حياة الرسام نصر الدين دينييه الذي وفد إلى الجزائر ومكث فيها إلى غاية وفاته ، أما عبد الكريم بابا عيسى فيحاول استرجاع ذاكرة أحد مناضلي الحركة الوطنية ومدى معاناته في السجن و قساوة الاستعمار ، أثناء الحرب العالمية الثانية محددا أحداث الفيلم ما بين 1939 و 1943 و كان عرض فيلم " تحت الرماد " سنة 1990 .
أما عبد الكريم بهلول فيستهويه تاريخ الجزائر ما بعد استقلالها لذا يعرض حياة جون سيناك الشاعر الذي فضل البقاء بموطن مولده ، وهو موقف إيجابي ، أضاف إليه مجموعة مواقف أخرى منها عمله على مساعدة المبدعين من الشباب الجزائري ، برزت شخصية جون سيناك جليا من خلال فيلم " إغتيال الشمس " ،

أما في فيلمه الموالي " السفر إلى العاصمة " فقد رصد عبد الكريم بهلول مرحلة السبعينات من تاريخ الجزائر الفتية ، بتصوير مجتمع ما بعد الثورة .

السينما الجديدة :

السينما الجديد ترجمة حرفية عن اللغة الفرنسية مصطلح ورد ذكره لأول مرة لدى المخرج محمد بوعماري 1972 –**11** - ، و يراد به السينما الجزائرية التي واكبت الإصلاح السياسي في الجزائر ، وأدى ذلك بالتالي إلى التعبير عن القضايا المصاحبة للإصلاح في المجتمع الجزائري الجديد ، و كان فيلم " الفحام "1972 تعبيرا حرفيا عن التوجهات الجديدة في البلاد ، و الحقيقة أن التفكير في دور جديد للسينما و الفن طرح قبل ذلك عند مجموعة من السينمائيين الشباب سنة 1970 ، و أخرجوا بيانا في هذا الشأن دعوا فيه إلى الابتعاد قدر الإمكان عن السينما الحربية التي سيطرت بصفة كلية على الإنتاج السينمائي الجزائري ، ودعوا فيه إلى التفكير في إنشاء سينما وطنية تصور الواقع مع البحث عن أشكال جمالية جديدة في البنية السينمائية . - **12**-



الإرث لمحمدبوعماري

بعد سنة من بيان السينمائيين الجزائريين ، يقوم الفنان محمد زينات بمحاولة فريدة من نوعها ، إذ طلب من بلدية الجزائر العاصمة تمويل فيلمه "تحيا يا ديدو " 1971 ، الذي يؤسس لميلاد مرحلة جديدة في السينما الجزائرية ، فقد ربط محمد زينات بين ماضي العاصمة و حاضرها ، بطل الفيلم محمد
الضرير ، عرف التعذيب زمن الاستعمار وأثر عليه إلى درجة فقدانه لبصره ، وهو يعيش في العاصمة الجزائرية التي لم تفقد رونقها رغم طول الحرب ومعاناتها القاسية ، يتماهى مصير محمد مع مصير المدينة ليشكلا معا صورة الشموخ .

حاول محمد زينات أن يصور راهن المدينة الطامحة للحياة و الاستمرار مثل محمد الذي لا يبالي بعاهته ليتجول في شوارع العاصمة بكل زهو ،ولا يمثل السائحان الفرنسيان سيمون و زوجته إلا ذريعة لتصوير جمال العاصمة وفي نفس الوقت تذكير المشاهد بما اقترفه الفرنسيون في حق محمد و الشعب الجزائري ، غير أن محمد لا يرى وجه معذبه كدلالة على طي صفحة الماضي وبداية صفحة حياة بناء جديدة .

كان الإقدام على إخراج فيلم من طرف ممثل لا عهد له بالاخراج مغامرة فنية ، إلا أن زينات صنع الحدث السينمائي ، إذ بدأت مرحلة جديدة من تاريخ السينما الجزائرية الفتية ، بدأ المخرجون الجزائريون يلتفتون إلى واقعم اليومي بكل ما يحتويه من غرائب و من تناقضات ومن عجائب الاحداث ، ومباشرة بعد فيلم محمد زينات يقوم أحد رجال المسرح المشهورين بتحويل نص مسرحي إلى الشاشة الكبيرة ، فكانت النتيجة أول فيلم اجتماعي يخرجه مصطفى كاتب "الغولة " اعتمادا على نص للفنان رويشد 1972 ، يعالج الفيلم ظاهرة استغلال الفئات العمالية من طرف مجموعة من اللصوص ، المحتمين بالسلطة المحلية ، و هو أول فيلم يلمح لمشاكل الفلاحين من غش و استغلال لجهودهم و أموالهم ، وهو نفس الموضوع الذي طرحه فيلم جعفر دمرجي "العائلات المحترمة " 1972 ،

الذي يقترح تسيير الفلاحين لأراضيهم كحل فعلي لمشكلة الثورة الفلاحية ومعاناة الفلاحين من ظلمات الاستعمار .



الفحام لمحمد بوعماري

وفي نفس السنة يقابلنا فيلم محمد بوعماري " الفحام " 1972 ، الذي يطرح معاناة الريفيين في القرى الجزائرية ، و كذا معاناة المراة ، والفيلم في بساطة بنائه يصرح بالحلول التي ستغير من مجرى حياة الريفيين في المجتمع الجزائري ، وكأن الثورة قادمة لا أحد يجب أن يقف في طريقها .

إن أبواب الابداع و التعبير التي فتحت أمام السينمائيين دفعتهم إلى الذهاب بعيدا في هذا المسار الجديد ، وربما كان الدافع القوي الذي جعل موسى حداد يقبل على إخراج إحدى أشهر الأفلام الكوميدية " عطلة المفتش الطاهر " 1972 ، الذي ينقلنا إلى عالم
السياحة في الجزائر و تونس ، وهو فرصة لإظهار المنجزات التي قامت بها الجزائر في تلك المرحلة المتقدمة من الاستقلال .

و في نفس الوقت إثبات بأن السينما قد تلعب دورا ترفيهيا ، من خلال تتبع مغامرات المفتش الطاهر البوليسية ، وهي شخصية أبدع صفاتها ولغتها ومغامراتها الممثل و الكاتب الحاج عبد الرحمان من خلال بعض الأفلام التلفزيونية ، و كان لها الحظ في إخراج سينمائي متميز على يد موسى حداد .



مسيرة الرعاة لسيد علي مازيف

و من الكوميديا إلى الدراما مع فيلم "مسيرة الرعاة " لسيد علي مازيف 1975 ، الذي يعود مرة أخرى إلى موضوع الأرض و الرحل و عدم مسايرتهم للتطورات الاقتصادية و الاجتماعية الحاصلة في المجتمع الجزائري بعد الاستقلال ، وما ترتب عن ذلك من معاناة كبيرة لتلك الفئة المهمشة من المجتمع .
وبنفس الرؤيا يجسد لنا التطورات الحاصلة في الريف الجزائري و بالضبط في قرية بولهيلات التي يشهد بطلها فعالية تحديث وسائل الإنتاج مقابل الوسائل التقليدية وثورته على ذلك و فراره من القرية ، ففيلم " زيتونة بولهيلات " لمحمد نذير عزيزي عن سيناريو لخالد بن ميلود يحمل رؤيا عميقة حول صراع المعاصرة مع الموروث الشعبي .
ودائما في الريف الجزائري يستعرض محمد سليم رياض بدقة متناهية الصراع الأزلي بين الأجيال ، وبين الفئات المتباينة المصالح داخل المجتمع من خلال فيلم " ريح الجنوب " المقتبس عن رواية للأديب

الجزائري عبد الحميد بن هدوقة بنفس العنوان ، إلا أن التيمة المركزية كانت مقاومة المرأة داخل المجتمع الريفي للحصول على حقوقها المشروعة في الحياة ، و في مقدمتها التعليم ، لقد جسدت نفيسة بطلت الفيلم تلك المقاومة ولكن بصورة أشبه بالمغامرة منها إلى التحليل النفسي العميق، إذ تهرب نفيسة من منزل والدها للالتحاق بعمتها في العاصمة ، و لكن تلدغها حية فيساعدها الراعي رابح بمعية العمة رحمة ، و لكن الوالد يبلغه خبر الفتاة فيقرر القضاء عليها لكنها تهرب منه فتقل الحافلة قبل أن يلحق بها فرسه .



ريح الجنوب لمحمد سليم رياض

و يستمر النبش عن خبايا المجتمع الجزائري ، إذ يحولنا غوثي بن ددوش إلى مشاكل البحارة بالمدن الساحلية ، وما يلاقونه من متاعب في مهنتهم الخطرة و ما يترصدهم من اخطار الاستغلال البشع ، وبهذا يكون غوثي بن ددوش قد لفت الانتباه إلى أن فئات كثيرة من المجتمع الجزائري في بيئاته المختلفة تعاني الاستغلال وتسلب حقوقها ، غير أن المخرج لا يفوته إعطاء الحلول ، بحيث يصبح اتحاد الأفراد قوة عظمى تواجه الهيمنة و الاستغلال .



بوعلام بناني في فيلم عمر قتلاتو لمرزاق علواش

و في سنة 1977 يعرض على القاعات فيلم لمخرج شاب مرزاق علواش ، يغير الرؤيا السائدة في السينما الجزائرية ، وهو فيلم " عمر قتلته الرجولة أو عمر قتلاتو " الذي استعرض الحياة اليومية للشباب العاصمي في مرحلة السبعينات من القرن الماضي .

كان الفيلم بأسلوبه المباشر البسيط في عرض الأحداث ، فيلما جماهيريا ناجحا ، إذ أظهر قدرة السينما على التعبير عما يعانيه الشباب في المجتمع ، كما فتح المجال للسينمائيين لطرح و مناقشة الأفكار المناهضة للرؤية السياسية القائمة أو على الأقل إظهار الأفكار المخالفة .
وهكذا توالت الأفلام ذات الرؤيا الاجتماعية و الواقعية ، ففيلم " حواجز " لأحمد لعلام ناقش تفكك الأسرة إثر وفاة الحاج مختار ، فالأسرة الجزائرية كانت باترياركالية ، يتحكم الوالد في تسيير أمورها ، و بمجرد إصابته بمكروه تتشتت الأسرة ، و بخاصة إذا كان الوالد غنيا ، فإن الثروة تكون نقمة على الأفراد ، و لكن الفيلم يركز أيضا على وضعية المرأة من خلال الزوجة الأخيرة للحاج مختار و إصرارها على الحصول على حقوقها .



الحواجز لأحمد لعلام

و دائما مع موضوع المرأة يقوم سيد علي مازيف مع فيلمه " ليلى و الأخريات " 1978 بتشريح وضعية المرأة الجزائرية في مرحلة نهاية العقد السابع أي بعد مرور عقدين على استقلال الجزائر ، و مثلما طرح " ريح الجنوب " حق المرأة في الدراسة ، يلفت مازيف إلى حقها في العمل الكريم ، و تبقى إشكالية التعليم قائمة لذا يصبح نضال ليلى و مريم نضال جميع النساء في المجتمع .
في حين يطور محمد بوعماري موضوع عمل المرأة والمشاكل التي تواجهها في العمل مع "الخطوة الأولى " 1978 ، من خلال مسيرة إمرأة منتخبة رئيسة بلدية ، و ما ينجم عن هذا الاختيار من مواجهات وتحديات .

ومع بداية الثمانينات يعيش المجتمع الجزائري بعض المشاكل الناتجة عن سوء أحوال المجتمع ، و انحسار الفكر الأيديولوجي الذي صبغ العروض السينمائية مع نهاية السبعينات ، و جعل التحليل الإيديولوجي يطغى على الواقع ، ولهذا برزت مجموعة من السينمائيين حاولت تشريح



ليلى و الأخريات

هموم المجتمع دون زيف أو حلول إيديولوجية ، فكان فيلم " سقف و عائلة " لرابح لعراجي1982 صورة صادقة لمعاناة الرجل و المرأة على السواء ، لبناء أسرة ترتكز على أسس مادية ثم نفسية متينة ، فكان موضوع الفيلم البحث عن سكن للبطل سليم ، استطاع رابح لعراجي أن يبين ملامح ظاهرة



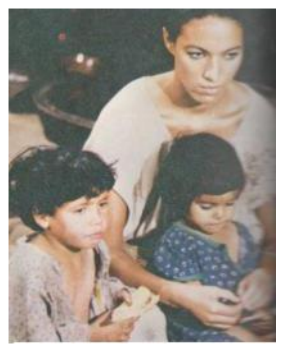
سقف و عائلة لرابح لعراجي

اجتماعية ذات تأثير قوي على أفراد المجتمع ، و بخاصة على الجانب النفسي المهمل .-**13** -
وبصورة رمزية مليئة بالمجازات يصور لنا محمد لخضر حامينا وضعية المرأة المتزوجة في المجتمع الصحراوي ، فكان فيلمه " رياح رملية " 1982 محاولة للغوص في أعماق مجتمع متأزم تحكمه أعراف قاسية ، إذ لا يصبح الزواج حلا مناسبا لمصير المرأة بدون إنجاب للذكور فيها .
بالإضافة إلى موضوع المرأة و المجتمع فقد تنوعت المواضيع المعالجة من طرف السينمائيين الجزائريين ، فمحمد سليم رياض يتناول في فيلمه " تشريح مؤامرة " 1978 ، خطر الفكر



رياح رملية لمحمد لخضر حامينا

الاستحواذي لدى الدول القوية في العالم ، و المتجسد في القيام بعمليات إرهابية داخل بلد عربي لمحاولة زعزعته للسيطرة عليه .
أما عمار العسكري بفيلمه " المفيد " 1978 ، يحاول التنبأ بمجتمع



رياح الرمال لمحمد لخضر حامينا

تقوده المبادئ الاشتراكية للوقوف ضد كل مناهض لمصالح الشعب ، في حين يلجأ مرزاق علواش في فيلمه " مغامرات بطل " 1978إلى الأسطورة لإظهار فشل المجتمعات العربية في بناء مجتمع متكامل مبني على أسس متينة ، و لهذا يصبح المخلص الفرد لتلك المجتمعات بطل مزيف .

أما براهيم تساكي فيتتبع مصير الطفولة المحرومة و المنسية ففي عمله الأول " أبناء الريح " 1980 ، يقسم الأحداث إلى ثلاثة ، يجمعها موضوع الطفولة .

1 –الصندوف في الصحراء .

2 – جمال في بلاد الصور .

3 – البيض المسلوق .

الأفلام الثلاثة قصيرة لا تتجاوز خمسا وعشرين دقيقة ، يفضح فيها المخرج التناقضات التي يعيشها الأطفال سواء مع حقيقة الكبار مثل البيض المسلوق ، أو بين وهم الصورة وواقع الحياة في جمال في بلاد الصور ، أما الصندوق في الصحراء فيظهر مدى قدرة الأطفال على الإبداع حين لا تتوفر لهم الإمكانيات .



أبناء الريح لإبراهيم تساكي

ويحاول براهيم تساكي في فيلمه الثاني "قصة لقاء " 1983 ، أن يبقى في عالم الطفولة لإظهار امكانية التواصل مع أطفال العالم دون حواجز تعيقهم ، من خلال قصة طفلين أبكمين يفرقهما عالم الكبار بتناقضاتهم الاجتماعية و السياسية و الدينية و يجمعهما عالم الطفولة ببراءته .
ويستمر براهيم تسكي في فيلمه الثالث في تفكيك عالم الطفولة " أطفال النيون " أما آخر فيلم له فيغوص به في عالم الصحراء و عاداته " أيرووان - حدث ذات مرة " 2007 ، فهي قصة عاطفية من أعماق الصحراء الجزائرية .
و من عالم الطفولة إلى عالم الكبار بأحلامهم ، تقوم تجربة جان بيار ليدو في فيلمه " أحلام أو أمبراطورية الأحلام " 1981 ، و هو تحليل عميق لنفسية المشاهد السينمائي ، و مدى تأثير الأفلام على الشخصية و مصير الحالمين و الملغين للواقع ، و لكن الشخصيات التي اختارها جان بيار ليدو مثل جمال و زورو و زوبيدة كان لها الحظ الكبير في تحقيق أحلامها حين يعرض عليهم مخرج سينمائي التمثيل في فيلمه الجديد ، إلا أن هذا لم يلبي رغباتهم المكبوتة بالقدر الكافي ليستفيقوا بأثر الواقع على حياتهم .



الطاحونة لأحمد راشدي

و في نفس التوجه يقوم مرزاق علواش بتحليل عميق لشخصية ونفسية بطل فيلمه " رجل النوافذ " 1982 ، رشيد العامل بمكتبة السينما و هو عالم الخيال ، إذ يعيش رشيد هواجس داخلية تمنعه من أداء عمله بتشبعه بفكرة المؤامرة عليه ، فيؤدي به ذلك إلى التأزم النفسي الشديد .

اما أحمد راشدي فيبقى مع عالم الكبار ، و يحاول من خلال فيلمه " الطاحونة " 1983 أن يحدد الأسباب الحقيقية التي أوصلت البلاد إلى الانسداد ، و ذلك بطرح المشاكل السياسية العميقة التي بدون حلها لن تستقيم الأحوال ، فعلاقة السلطة بالشعب و السلطة بالصحافة ، و الاصلاحات الخاطئة ، كلها عولجت بطريقة ذكية ، مما يجعل الطاحونة أول فيلم سياسي جزائري و عربي ، و يصبح أحمد راشدي أول سينمائي تجرأ على محاكمة السلطة القائمة أنذاك .

ويغوص محمد شويخ في عمق المجتمع الجزائري محاولا تصوير تناقضاته في فيلم " القلعة " 1987 ، فالقلعة غطاء يتستر وراءه أفراد المجتمع ، و

لكنهم يعيشون أمراضا اجتماعية خطيرة منها الزواج المنحرف ، و العلاقات الاجتماعية المزيفة ، وبهذا حاول المخرج أن يبين أن المجتمع الجزائري يعاني أزمة خطيرة ، ساهم فيها الموروث التاريخي و الواقع المنحرف .



لقطةمن فيلم الملف 365

و أهم الأفلام التي ركزت على الواقع و تأثيره على الفرد " صحراء بلوز " لرابح بوبراس 1991 ، بحيث ربط المخرج بين جمال المناظر الصحراوية و قساوة حياة البطلة ، فكانت الوحدة و البعد عن صخب المدينة دافعا لمراجعة ما مر من حياة ماضية و تقييمها .

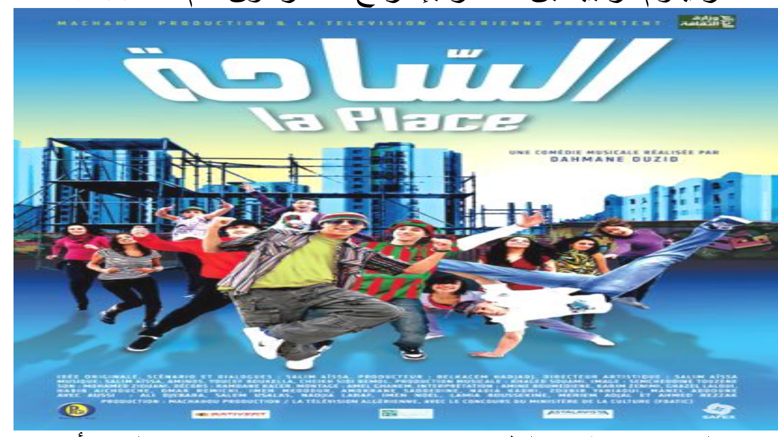
ومع صعوبة مرحلة التسعينات من القرن الماضي على المجتمع الجزائري ، إلا أن السينمائيين لم يهملوا القضايا الاجتماعية الخالصة و منها واقع الأسرة ، لهذا ألفينا عمار تريبش يعطي الأهمية الكبيرة لنوع الكوميديا الإجتماعية مع " عائلة كي الناس " 1990 ، و الدراما الاجتماعية مع " امرأتان " 1991 .

ونفس التوجه نجده عند الحاج رحيم مع " البورتريه " 1994 ، و " التلغرام " 2007 ، و كذا محمد حلمي مع فيلمه " الولف صعيب " و رشيد بن براهيم مع " الفصل الثالث " 1991 و علي موزاوي مع " الفلفل الأحمر " .



عائلة كي الناس

ونظرا لتراكم الأعمال السينمائية فقد تنوعت في مواضيعها ، إذ نجد رشيد بن براهيم يغوص في عالم الممثلين و الفنانين " الفصل الثالث " 1992 ، و عمار تريباش يختار عالم الرياضة " الجائزة الكبرى " 1990 ، وفي نفس المسار يقوم رابية بن مختار بإخراج " ماراتون تام " 1992 .



ومن المواضيع ذات الطرح الاجتماعي نجد " صدف " لسيد أحمد سجان و " العجوز و الطفل " ليحي دبوب ، و " الحل الأخير " لرشيد بن علال أو

" قضية رجال " أمين قيس صديقيوي و" عائشات " لسعيد ولد خليفة 2007 و أخيرا " هاتف عمومي " لمحمد سويداني 2010 .
ومن العجيب أن تشهد فترة التسعينات فيلما غنائيا " لحن الأمل " لجمال فزاز 1992 ، و يكون آخر فيلم لسنة 2010 غنائيا راقصا " الساحة " لدحمان أوزيد .

المرأة الجزائرية و الإبداع السينمائي :

لم تخل السينما الجزائرية منذ اكتمالها من التصريح أو التلميح لوضعية المرأة الجزائرية ، قبل الثورة التحريرية أو أثناءها " نوة " عبد العزيز طولبي أو " ريح الأوراس " لمحمد لخضر حامينا أو بعدها " ريح الجنوب " لمحمد سليم رياض و" الفحام "لمحمد بوعماري و " الخطوة الأولى " لنفس المخرج ، و لا ننسى "ليلى و الأخريات " لسيد علي مازيف و كذا فيلمه " حورية " 1986 .
و في الستينات قام المخرج أحمد لعلام بإعطاء الكلمة لمجموعة فتيات يدرسن بالثانويات الجزائرية للتعبير عن أوضاعهن و رأيهن في التطورات الحاصلة في البلاد حينئذ " هن " 1966 ، و يعود نفس المخرج لنفس الشخصيات النسوية ليحاورهن من جديد حول تقييمهن لمصيرهن في الجزائر المستقلة
" هن 50 سنة فيما بعد " 2009 .
كما قام محمد شويخ بإعطاء صورة خاصة للمرأة الجزائرية أثناء الصراعات السياسية في مرحلة التسعينات ، بحيث ركز على مقاومة مجموعة نساء في إحدى القرى للإرهاب وعناصره "دوار النساء "2007 .
ولكن المؤكد أن أول جزائرية جازفت في مجال الإخراج كانت الروائية أسيا جبار في عملين للتلفزيون الجزائري سنة 1979 " نوبة نساء الشناوة " و هوفيلم تلفزيوني روائي مطول متميز، أظهر وجها جديدا للفيلم الجزائري في تلك الحقبة ، أي العقد السابع من القرن العشرين ، و عده بعض النقاد

الفرنسيين نموذجا من السينما التجريبية ، و بعضهم أطلق عليه "السينما الثقافية ".**-14 -**

عمدت المخرجة الأديبة في عملها إلى تركيز عدسة رؤياها على موقف النساء الجزائريات على حاضرهن و ماضيهن ، إذ تعود البطلة وهي مهندسة إلى أرض أبائها بعد غياب دام خمسة عشر سنة ، لتلتقي بمجموعة نساء تسائلهن عن تاريخ الثورة التحريرية ، في محاولة لإيجاد أجوبة عن مصير أخيها المفقود منذئذ ، و الشخصية الذكورية الوحيدة هي الزوج الصامت ، و الفاقد لقدراته الحركية ، فهو يمشي على كرسي متحرك إثر حادث وقع له ، و كأنما تعمدت إسكات الرجال المتسببين في الحروب ، وإعطاء الكلمة للنساء اللواتي يتحملن النتائج في كل الأحوال .**-15 -**

أما العمل الثاني الذي أقدمت على إخراجه الأديبة الجزائرية آسيا جبار فكان شريطا وثائقيا " الزردة " 1981 ، ولكن للأسف لم تواصل الروائية مشوارها الإخراجي ، وقد يكون السبب التفاتها إلى أعمالها الروائية المتعددة التي كتبتها بعد ذلك .



نوبة جبال شناوة لآسيا جبار

ومع أن العاملين في الحقل السينمائي من ممثلات و تقنيات كثيرات ، إلا أن المغامرة السينمائية ستستهوي أديبة و روائية أخرى حفصة زناي قوديل

صاحبة رواية " نهاية حلم " و " الرهان الفاشل " و " الفراشة لن تطير " و كذلك " الشيطان امرأة " ، فبعد تجربة قصيرة في المجال السينمائي كمساعدة مخرج مع أمين مرباح مع فيلمه " راضية " 1991 ، و يحي دبوب مع " الأربعاء مساء " و عبد الغني مهداوي مع " العقدة " ، تقتحم حفصة زناي قوديل عالم الإخراج ، بتحويل روايتها الأخيرة " الشيطان امرأة " إلى سيناريو و الإصرار على إخراجه بنفسها1992 ، متحدية بذلك الكثير من الصعوبات ، و بذلك تكون أول مخرجة سينمائية جزائرية ، باعتبار ما قامت به آسيا جبار كان عملا تلفزيونيا أما حفصة زناي قوديل فهي مخرجة سينمائية ،وبهذه التجربة حاولت المخرجة أن تساهم في الحركة السينمائية الجزائرية وفي نفس
الوقت فضح بعض الممارسات الاجتماعية المسيئة للمرأة و مصيرها في ظل الأزمة السياسية الخطيرة التي عاشتها الجزائر نهاية الثمانينات و بداية التسعينات .-16-



المخرجة حفصةزناي كوديل

وفي سنة 2002 تمكنت يمينة شويخ إحدى العاملات في الحقل السينمائي الجزائري من إخراج أول عمل لها " رشيدة " ، محاولة بدورها المساهمة في مجال الإخراج بعدما مهدت حفصة زناي الطريق أمام الفنانات من النساء للوقوف وراء الكاميرا ، و كانت تجربة يمينة شويخ فريدة ، فقد تحدت الصعاب المتراكمة ، و الركود الذي شل النشاطات السينمائية و الفنية ، وبمجهود شخصي تمكنت المخرجة من تمويل مشروعها و تحقيقه .
صنف فيلم " رشيدة " ضمن الأفلام التي تعالج موضوع الإرهاب في الجزائر ، غير أن المخرجة زاوجت بين موضوعين ، مثيرة وضعية المرأة أثناء الأزمة السياسية الجزائرية ، ومعاناتها من تلك



نوبة نساء شناوة

الأزمة ، لتخلص إلى أن المجتمع يحوي النساء و الرجال ، و كل ما يحدث فيه من أزمات أو أفراح يمس بالضرورة الطرفين .
وتخوض مخرجة أخرى جميلة صحراوي في تحليل وقائع سنوات الأزمة السياسية في الجزائر من خلال فيلمها " بركات " من خلال شخصية طبيبة يختطف زوجها و تسعى للعثور عليه و تساعدها مناضلة في أحد الأحزاب التاريخية ، لكن الفيلم لقي نقدا شديدا نظرا لمواقف الشخصيات السلبية.
وبعد ذلك تتسارع المخرجات الجزائريات في الظهور على الساحة الفنية سواء بالأفلام القصيرة أو الطويلة ، ومنها " زهر " لفاطمة الزهراء زعموم 2009 أو " مال وطني " لفاطمة بلحاج2009 و " ما وراء المرآة " لناديا شرابي2007 .



المخرجة و الممثلة فاطمة بلحاج

بينما نجد الحظ يحالف الكثير من الجزائريات المهاجرات بفرنسا ، ومنهن يمينة بن غيغي صاحبة " مذكرات مهاجرين " 1997 و " سقف من زجاج " 2005 و " الأحد ..إن شاء الله " 2006 –**17** - أو زايدة غراب فولتا و فيلم "

شباب من ذهب " 2001 و كذلك فضيلة جردم التي أخرجت " نادياو نعيمة و فاطمة و جميلة و الآخريات " 2002 ، و نذكر أيضا أمل بجاوي مع فيلمها الطويل " إبن " 2003 ، و كانت قبله قد أخرجت " الإنحراف الكبير" ، أما أمل كاتب فقد أخرجت " لن نموت " ، في حين تتمكن صابرينة دراوي من تقديم فيلم " قولي لي "2008 .
وممن حالفهن الحظ سامية شالة التي غادرت الجزائر سنة 1994 نحو باريس لتقتحم عالم الإخراج سنة 2000 بفيلم قصير " الطيور لا زالت تغني القصبة " لتتابع مسيرتها الفنية بالعديد من الأفلام القصيرة و الوثائقية منها " هروب أمين " 2005 .
و تقابلنا أيضا لوريت مقراني المتخصصة في دراسة الحقوق ، و الممتهنة للمحاماة ، وفي سنة 1994 تؤسس شركة للإنتاج السمعي البصري أناغرام Anagram Pictures ، و تخرج أول فيلم قصير سنة 1997 " طحان سانت غوبرج " ثم " أمنة " .



ما وراء المرآة لنادياشرابي

ومن المخرجات الجزائريات المتأرجحات بين الضفتين نجد حبيبة جحنين التي استطاعت أن تقتحم عالم الإخراج ، بمجموعة أفلام وثائقية .

ومع أن أعمال جل المخرجات تم إنتاجها من طرف الجانب الفرنسي أي أنها تنسب إلى السينما الفرنسية ، إلا أن المشاركة الجزائرية في بعض الأعمال كانت دائما فعلية ، بل إن الكثير من المخرجات يلجأن أولا إلى الإنتاج الجزائري مثلما فعلت حفصة زناي قوديل التي تعيش في فرنسا إلا أنها تلجأ دائما إلى تمويل جزائري لأعمالها .

السينما الجزائرية والواقع :

إن التحولات السياسية التي شهدتها الجزائر مع نهاية الثمانينات كانت موضوع أول عمل سينمائي للمخرج مالك لخضر حامينا " خريف أكتوبر الجزائر " 1992 ، فقد ركز فيه المخرج على الأحداث السابقة لانتفاضة الشباب الجزائري ذات يوم من سنة 1988 .



مالك لخضر حامينا في فيلم أكتوبر خريف الجزائر من إخراجه

ويظهر لنا الفيلم مدى ارتباط السينمائيين الجزائريين بالأحداث التي شهدتها بلادهم ، و كانت أعمالهم تروم فهم الواقع بتناقضاته ، و في نفس الوقت استشراف المستقبل ، عن طريق تعرية الواقع ، ولهذا لم يتردد المخرج الجزائري مرزاق علواش الذي اختار العيش في فرنسا مع بداية الثمانينات في إنجاز مشروع فيلمه " باب الواد الحومة " 1994 ، بالرغم من صعوبة

الأحوال الأمنية ، وكان فيلمه صورة صادقة لتطورات و انحرافات اجتماعية و سياسية شهدتها الجزائر آنئذ ، و بالرغم من الصعوبات التي واجهها إلا أنه يعود مرة أخرى ليعطي تفسيره الخاص للأزمة السياسية مع فيلم " العالم الآخر " .

وهكذا تتعدد الأعمال السينمائية التي تحاول إعطاء تفسير أو وجهة نظر أصحابها للأحداث التي عرفتها الجزائر ، و إن كانت لم تبعد كثيرا عن فضح الأعمال الإرهابية و تبيين مدى معاناة المجتمع منها مثل" المنارة " لإبراهيم حجاج 1994 أو " بركات " جميلة صحراوي او " رشيدة "ليمينة شويخ .



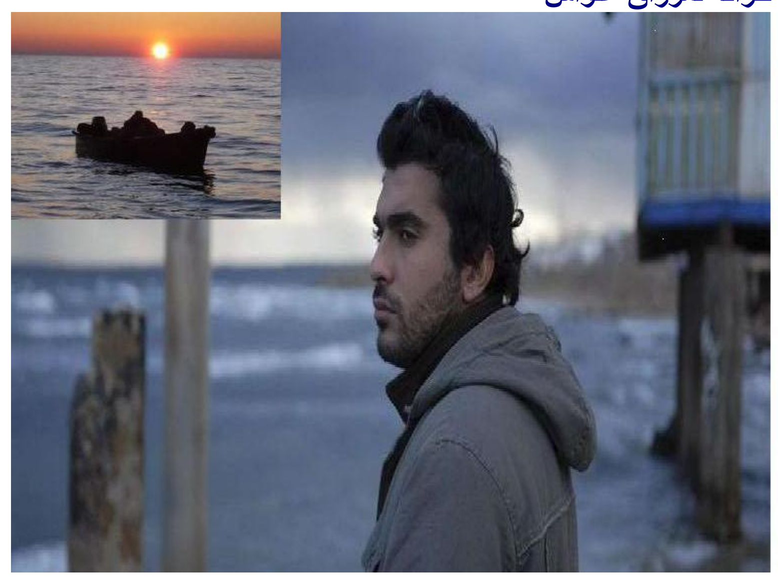
رشيدة ليامينة شويخ

غير أن المخرج محمد شويخ تمكن بطريقته المعتادة أن يعطي تفسيرا رمزيا للأزمة التي تشهدها الجزائر ، فكان فيلمه " سفينة الصحراء " 1998 ، مرآة رمزية للتناحر و التقاتل الذي تعيشه البلاد ، من خلال قصة مجموعتين إثنيتين تعيشان في واحة بعيدة في الصحراء الجزائرية ، فتنقلب الأوضاع إلى حالة من الكراهية و البغض بسبب شابين تحابا من القبيلتين .**-18 -**

وأراد المخرج أن يظهر حالة من التآلف و الوفاق بين الأهالي منذ المشاهد الأولى للفيلم ، إلا أن المشاهد التالية بينت مدى هشاشة المجتمع نظرا للفكر السلطوي الموروث منذ القدم .

و يدخل المجتمع الجزائري مع مطلع القرن الواحد و العشرين فترة من الانفراج السياسي ، وتبدأ ملامح المجتمع تتغير ، بيد أن المجتمع لا يخلو من الظواهر الجديدة الناتجة عن الظرف المستحدث ، و أهم تلك الظواهر الهجرة السرية ، أو ما يطلق عليها " الحرقة " أي السفر إلى البلدان الأوروبية عبر أقرب السواحل ، وبخاصة إسبانيا من جهة الغرب , و إيطاليا شرقا .

حراقة لمرزاق علواش



أول من لفت انتباه الأنظار إلى الظاهرة طارق تقية في فيلمه " روما و لا أنتما " 2006 ، مظهرا إصرار الشباب على مغادرة البلاد للبحث عن مكان تحت الشمس الأوروبية ، و يتبعه مرزاق علواش مخرج الشباب بفيلم " حراقة " 2009 ، مظهرا وجها إنسانيا للشباب الحراقة ، وساعيا إلى إبراز الوجه الحقيقي لظاهرة يستعذبها الشباب لأنها تمثل حلا لحياة عقيمة في

بلادهم و يستنكرها المسؤولون السياسيون و يعتبرونها ظاهرة سلبية يجب القضاء عليها .
و في نفس الرؤيا نجد فيلما قصيرا لأحسن تواتي يعالج الظاهرة " حلم لم يتحقق " إذ لمح إلى خطورة المغامرة على الشباب ، بالرغم من عزيمتهم القوية في الوصول إلى الضفاف الأخرى .
ويعود طارق تقية في فيلمه الثاني" قبلة – داخل البلاد "2009 ، إلى الأثار السلبية لسنوات الأزمة على العلاقات الإنسانية و لكنه يعرج على موضوع خفي له علاقة متينة بالهجرة إلى أوروبا ، إذ يلقي الضوء على المهاجرين الأفارقة الذين يتخذون الجزائر ممرا لبلوغهم الحدود الاوروبية ، و نجده في هذا الفيلم أكثر تحكما في جمالية الصورة و شاعرية الأماكن المصورة .

الفيلم الأمازيغي :

وهنا يجب تحديد المصطلحات من جديد ، فالفيلم الأمازيغي هو فيلم جزائري ناطق باللغة الأمازيغية ، و ومن هنا يقع الخلط في المفاهيم ، فاللغة لا تحدد نسبة الفيلم ، بل الموضوع ، ويكفي بعد ذلك أن نقوم بترجمة العمل إلى أي لغة في العالم ومع ذلك تبقى الخصوصية الثقافية و البيئية .
فقد كان جل الكتاب الأمازيغ يعبرون عن واقعهم بلغة ليست لغتهم كمولود فرعون و مولود معمري ، ومع ذلك تبقى الخصوصية للعمل الروائي الذي كتبوه ، بل إن أحمد راشدي حين حول رواية مولود معمري " الأفيون و العصا " إلى فيلم سينمائي 1971 ، فقد ترجم النص الأصلي من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية ، و لم ينقص ذلك من قيمة العمل الروائي ، بل إنه يكفينا لنعيد الفيلم إلى نسبته الحقيقية أن يترجم – دوبلاج - إلى اللغة الأمازيغة ليصبح فيلما أمازيغيا .



عبد الرحمان بوقرموح يوجه الممثلات في فيلمه الربوة المنسية

ما أريد أن أقول أن اللغة لا يجب أن تكون عائقا في العمل الفني ، فمهرجان الفيلم العربي بوهران يخص الأفلام الناطقة باللغة العربية ، و بالتالي لا يقبل فيها الفيلم الأمازيغي بحجة أنه ناطق بالأمازيغية مع أنه فيلم جزائري ، و مهرجان الفيلم الأمازيغي يقصي الأفلام الناطقة باللغة العربية .

و الأصل في النسبة الموضوع المعالج ، أما مشكلة اللغة فيوجد حل لها في ترجمة الأعمال إلى اللغتين ، و تجربة التلفزيون الجزائري دليل قوي على ذلك فكثير من الأفلام الناطقة بالعربية ترجمت إلى الأمازيغية و لم ينقص ذلك من القيمة الفنية للفيلم .

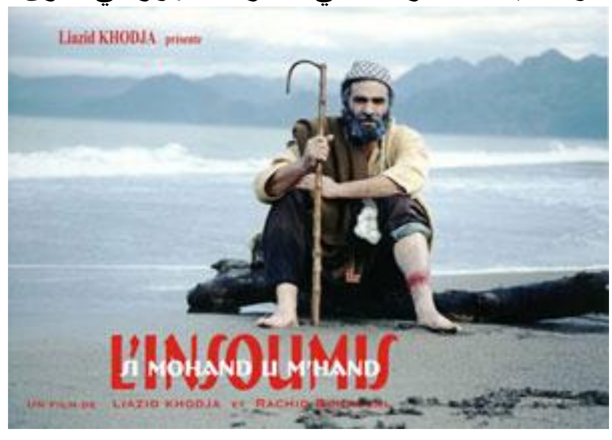
فإذا كانت رواية الأفيون و العصا اول عمل روائي ينقل إلى السينما ، فإن رواية أخرى لمولود معمري لم يحالفها الحظ إلا بعد مرور ثمان و عشرين سنة ، إذ قدم المخرج عبد الرحمان بوقرموح مشروع فيلمه " الهضبة المنسية " للمسؤولين عن الإنتاج السينمائي سنة 1968 ، ولكنه لم يلق جوابا عن طلبه ، فالسيناريو كان مكتوبا باللغة الأمازيغية ، و لم يحقق مشروعه إلا سنة 1996 .

كان قد سبقه بلقاسم حجاج بفيلمه " مشاهو " 1995 ، و تبعه عز الدين مدور



الأفيون و العصا لأحمد راشدي

بفيلمه " جبل باية " 1997 ، وبهذا تم إنتاج العديد من الأفلام الأمازيغية منها " أرزقي الثائر " لجمال بن ددوش 2007 الذي يظهر مقاومة فاروق بلحبيب أحد الجزائريين الرافضين للاستعمار الفرنسي في نهاية القرن التاسع عشر ، ومن الأعمال الكثيرة نذكر " ميمزغان " لعلي موزاوي 2007 ، و آخر الأعمال كانت لرشيد بن علال و اليزيد خوجة " سي محند أو محند " 2008 حول حياة الشاعر القبائلي الثائر المشهور في القرن التاسع عشر .



سي محند أو محند لرشيد بن علال و ليازيد خوجة

السينما الجزائرية و قضايا الأمة العربية :

إن رصيد السينما الجزائرية ليس كبيرا ، و لم يكن من السهل توفيق الأعمال الفنية مع التطورات السياسية و الاجتماعية الحاصلة في البلاد العربية ، و مع ذلك فقد تمكن بعض المخرجين الجزائريين من نقل الواقع العربي إلى الشاشة برؤيتهم الخاصة ، و أهم مشكلة واجهتها الأمة كانت الأزمة الفلسطينية ، و في هذا الشأن يواجهنا فيلم مهم في موضوعه " سنعود " 1972 لمحمد سليم رياض الذي يصور فيه مقاومة الفلسطينيين للجيش الإسرائيلي ، و في نفس الوقت معاناة الأهالي لاضطهاد و ظلم الإسرائليين .



نهلة لفاروق بلوفة

كما كان الفيلم إعلانا عن مقاومة شرسة و طويلة المدى لاستعمار جديد ، ومنذ بداية الفيلم و عرض العنوان " سنعود " تتجلى خصوصياته ، بنهاية معركة و قدوم معارك جديدة ، ومع أن المخرج عالج القضية الفلسطينية بمزج الأحداث الواقعية بالمغامرات البطولية ، إلا أنه يبقى له الفضل الكبير في إظهار الواقع الفلسطيني على الشاشة برؤيا الشعب المقاوم و ليس المنهزم.

أما الفيلم الثاني فقد كان تلفزيونيا ولكنه لقي إطراء من طرف المشاهدين و النقاد " نهلة " لفاروق بلوفة 1980 ، إذ كان تصويرا لواقع الحرب الأهلية في لبنان من خلال عيون صحفي



فيلم نهلة

جزائري وجد في بيروت في نفس زمن الأزمة السياسية .

لقد كان فيلم فاروق بلوفة متميزا من حيث الطرح و الشكل ، إذ استطاع مخرجه أن يحلل الأوضاع السائدة في بيروت بطريقة فنية و واقعية مما أضفى على الفيلم جمالية كبيرة .

" إن نهلة الفيلم السياسي و الفيلم العاطفي يعتبر بلا جدال أحد أكبر نجاحات السينما الجزائرية "

جمال الدين مرداسي – 19 -

إن تعدد الرؤى جعل فيلم نهلة قابلا للتأويلات المتعددة ، فمن جهة اعتبر الفيلم دليلا على انتماء الفنان الجزائري إلى الوطن الكبير العالم العربي . -20 - .
و من جهة أخرى فإن الفيلم يطرح إشكالية غائبة عن السينما العربية ، وهي علاقة المرأة بالحرب ، و مقابلتها للأزمات بمنظار الفن ،



المخرج فاروق بلوفة

فالقصة تتمركز حول علاقة الصحفي الجزائري " العربي " بكل من مها و هند و كلهم يحومون حول شخصية الفنانة نهلة ، و يتابعون تألقها إلى غاية فقدانها لصوتها .-21 -
ولأول مرة يظهر المخرج علاقة المرأة بالفن و علاقتها بالحرب ،و بالتالي علاقة الفن بالحياة و الحرب .- 22 -

إن فقدان نهلة لصوتها هو فقدان المشرق العربي لجاذبيته السحرية، و ما دامت لبنان تشغل حيزا تاريخيا مهما في المشرق العربي ، فإنها تفقد بدورها بريقها الحضاري و الفني ، و يحل محل الجمال الصوتي صوت الرصاص و الصراخ ، و هنا يبث المخرج الحيرة في نفوس أبطاله و مشاهدي الفيلم ، و تتداخل صور القتال في الشوارع مع الأزمة النفسية التي تعيشها البطلة فتأثر في نفوس الأبطال المحوريين .

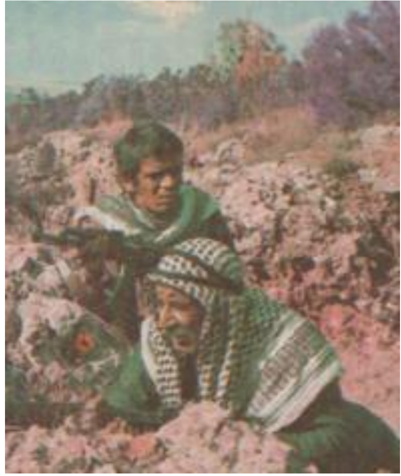
ومع أن الأفلام الجزائرية المعالجة للقضايا الشائكة في المجتمع العربي قليلة ، إلا أن الفيلم تميز بجرءته في الطرح و جماليته في التصوير و



سنعود لسليم رياض

التركيب ، و بالرغم من أن الفيلم تلفزيوني إلا أنه استطاع أن يظهر تكاملا فنيا جليا .
إن فيلم " نهلة " لفاروق بلوفة سيبقى علامة إبداع متميز في تاريخ الأفلام الجزائرية و العربية ، و لهذا ظل الكثير من النقاد ينسبونه إلى الأفلام السينمائية ،و لولا الظروف الصعبة التي عانت منها مؤسسة توزيع الأفلام

السينمائية في بداية الثمانينات ، لكان من المحتمل جدا أن يلاقي الفيلم نجاحا عالميا ، إذ لم يعرض إلا في بعض البلدان العربية و الأوروبية في تظاهرات سينمائية خاصة ، و لم يكن له الحظ في العرض في القاعات السينمائية .



سنعود لمحمد سليم رياض

الإحالات :

1 –بوعلام رمضاني : المسرح الجزائري بين الماضي و الحاضر ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ص 14 .
2 – سلالي علي : شروق المسرح الجزائري ، ص 57 .
3 –السينما الجزائرية 1957 – 1973 ، ص 10 .
4 –نفس المرجع ص 11 .
5 -Images et Visages du Cinéma Algérien , p 7.
6 –السينما الجزائرية : المرجع السابق ص 7 .
7- Images et Visages du Cinéma Algérien, p 18.
8 – Abdelghani Megherbi :Miroir Apprivoisée , p100.
9 – الشاشتان ع 18 نوفمبر 1979 ص 80 .

10 - Abdelghani Megherbi :Miroir Apprivoisée , p106 .
11 – الشاشتان ، ع 1 ، مارس 1978 ، ص 16 .
12 - Abdelghani Megherbi :Miroir au Allouettes,p 80 .
13 – Adda Chentouf :p 238 .
14 – Jeune Cinema , fevrier 1979 , numéro 116 , p 3 .
15 – Idem p 3 .
16 – Media Sud 8 p 20 .
17 –جان الكسان : السينما العربية و آفاق المستقبل ص 291 .
18- Media SudNumero 7 ,p9
19 –الشاشتان ع 26 جويلية 1980 ص 47 .
20 – الشاشتان ع 30 يناير 1981 ص 36 .
21 –الشاشتان ع18 نوفمبر 1979 ص 84 .
22-El Watan 30 Janvier 2010 ,p15

أسماء المخرجين الواردة في الفصل الثاني حسب ورودها في النص .

1 –مصطفى بديع مخرج تلفزيوني و سينمائي ولد بالجزائر سنة 1928 – 2001 . صاحب " الليل يخاف الشمس " 1965 .

2 – علالي علي المدعو علالو ممثل مسرحي و مخرج و مؤلف مسرحيات جزائري ولد 30 مارس 1902 - .
مسرحية " جحا " 1926 .

3 – محي الدين باش طرزي مطرب وممثل ومخرج مسرحي وممثل سينمائي ولد 15ديسمبر 1897 – 6 فبراير 1986 .
" الافيون و العصا " لاحمد راشدي 1971 – ممثل .

4 – رشيد قسنطيني وإسمه الحقيقي رشيد بلخضر ممثل و كاتب مسرحي و ممثل سينمائي .ولد11 نوفمبر 1887 – 1944 .

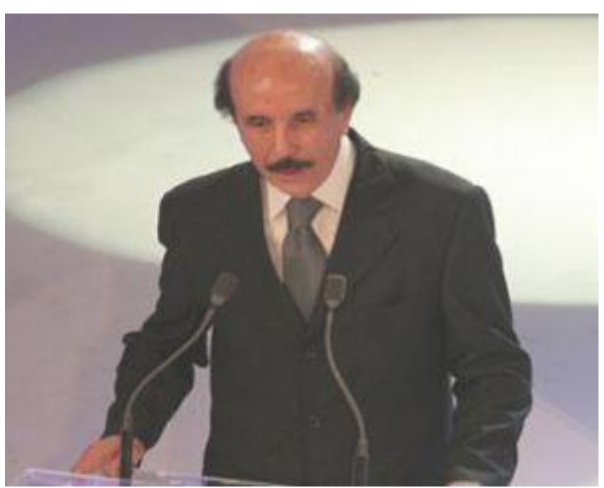
5 – جمال الدين شندرلي ممثل و مخرج جزائري من رواد السينما الجزائرية
" جزائرنا "1960 -1961 .



المخرج الإيطالي جيلو بنتكرفو مع ياسف سعدي

6 – بيار شولي طبيب و صحفي و مخرج جزائري ولد سنة 1930 بالعاصمة ، التحق بصفوف الثورة التحريرية عبر الحدود التونسية ، و مكث بالجزائر بعد الاستقلال و أسندت له وظائف سامية .
" جزائرنا ".مخرج ثان 1960 – 1961
7 – جيلو أو جيلبرتو بنتكرفو مخرج سينمائي إيطالي ولد 19 نوفمبر 1919 – 12 أكتوبر 2006 .
" معركة الجزائر " 1966 .
8 – أحمد راشدي مخرج سينمائي و كاتب سيناريو ، تبسة 1938 .
" مصطفى بن بولعيد أسد الأوراس " 2009 .
9 –محمد لخضر حامينا مخرج سينمائي 26 فبراير 1934 بالمسيلة
" وقائع سنين الجمر " 1975 .
10 – توفيق فارس كاتب سيناريو ومخرج سينمائي ، 27 أكتوبر 1937 برج بوعريريج

. كاتب سيناريو " وقائع سنين الجمر " ومخرج " الخارجون عن القانون " 1969 .



المخرج أحمد راشدي

11 – محمد سليم رياض مخرج ، 21 نوفمبر 1932 بشرشال .
" ريح الجنوب " 1975 .
12 – عمار العسكري مخرج ، 22 يناير 1942 عين الباردة .
" دورية نحو الشرق " 1972 .
13 – بن عمر بختي مخرج تلفزيوني و سينمائي ، ولد بتلمسان 1941 .
" الطاكسي المخفي " 1987 .
14 – الأمين مرباح مخرج ، 28 جويلية 1949 تيغنيف .
" بني هندل " 1976 .
15 –عبد العزيز طولبي مخرج تلفزيوني ، 16 أبريل 1937 – تملوكة - .
" نوة " 1972 .



المخرج محمدلخضر حامينا

16 – محمد بوعماري مخرج ، 20 يناير 1941 – توفي 1 ديسمبر2006 .

" الفحام " .1972

17 – غوثي بن ددوش مخرج ، 27 مارس 1936 تلمسان .

" أرخبيل الرمل "2007 .

18 – رشيد بوشارب كاتب سيناريو ومخرج و منتج سينمائي جزائري-فرنسي ، 1 سبتمبر 1953 باريس .

" خارجون عن القانون " 2010 .

19 – محمود زموري مخرج ، 22 ديسمبر 1946 بوفاريك .

" خذ عشرة ألاف و غادر " 1986 .20 – مهدي شارف مؤلف مسرحي ومخرج سينمائي جزائري فرنسي ، ولد 24 أكتوبر 1952 مغنية .

" شاي في حرم ارشي أحمد أو ارخميدس " 1986 .



المخرج عمار العسكري

21 – جون بيار ليدو مخرج جزائري و كاتب سيناريو ،
31 أكتوبر 1947 تلمسان .
" أمبراطورية الأحلام " 1984 .
22 – يحي دبوب مخرج ، 1940 بالجزائر .



المخرج محمد بوعماري على اليمين

" ابنتي تظل ابنتي " 2010 .

23 – رشيد بن حاج مخرج ، 1949 بالجزائر .
" توشيا " 1993 .
24 – محمد شويخ ممثل مسرحي وسينمائي وكاتب سيناريو و مخرج ، 3 سبتمبر 1943 مستغانم .
" القلعة " 1987 .25 – عبد الكريم بهلول ممثل و كاتب سيناريو و مخرج جزائري فرنسي ، ولد سنة 1950 الرباحية – سعيدة –



بن عمر بختي مع أحمد بجاوي

" السفر إلى العاصمة " 2008 .
26 – محمد زينات ممثل مسرحي و سينمائي ومؤلف مسرحي و مخرج سينمائي ، 16 يناير 1932 بالجزائر -توفي1995 بباريس.

" تحيا يا ديدو " 1971 . 7 –
مصطفى كاتب مؤلف و ممثل و مخرج مسرحي ومخرج سينمائي ، ولد 8 جويلية 1920 سوق أهراس – 28 أكتوبر 1989 مرسيليا فرنسا .
" الغولة " 1971 .



غوثي بن ددوش مع رابح لعراجي

28 – موسى حداد مخرج ، 1937 بالعاصمة .
" عطلة المفتش الطاهر " 1973 .
29 – سيد علي مازيف مخرج ، 16 أكتوبر 1943 بالعاصمة .
" مسيرة الرعاة " 1975 .
30 – أحمد لعلام مخرج ، 10 أوت 1940 سطيف .
" حواجز " 1977 .
31 –رابح لعراجي مخرج ، 24 مارس 1943 برج منايل .

" سقف و عائلة " 1982 .
32 – مرزاق علواش مخرج وكاتب سيناريو ، 6 أكتوبر 1944 بالعاصمة .

" عمر قتلته الرجلة "1976 .
33 – براهيم تساكي مخرج ، 27 ديسمبر 1946 سيدي بلعباس .
" حكاية لقاء " 1983 .
34 – رابح بوبراس مخرج ، 1950 بالجزائر .
" صحراء بلوز " 1991 .35 – عمار تريبش مخرج تلفزيوني و سينمائي ، 20 سبتمبر 1953 تيزي وزو .
" إمرأتان " 1991 .

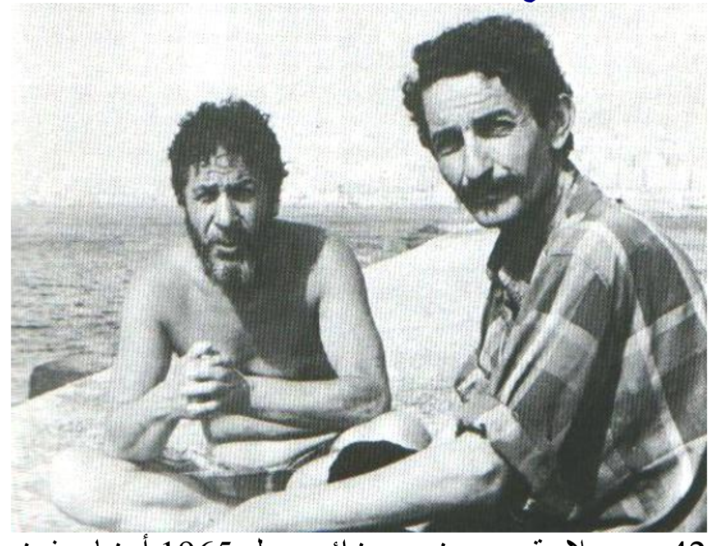


محمد بوعماري مع يوسف صحراوي

36 – بلقاسم حجاج مخرج ، 1950 بالعاصمة .
" المنارة " 2004 .
37 – علي موزازي مخرج نلفزيوني و سينمائي ، 1952 الجزائر .
" ميمزغان " 2007 .
38 –رشيد بن براهيم مخرج ، 1951 بالجزائر .
" الفصل الثالث " 1991 .
39 – رابية أو ربيع بن مختار مخرج ، 1944 أملو – أقبو –
" ماراتون تام " 1988 .

40 – رشيد بن علال مخرج ، 1946 الجزائر .
" سي محند أو محند " 2008 .
41- سيد أحمد سجان مخرج سينمائي جزائري ، بدأ مصورا مع الفيلم التلفزيوني " طيور الصيف " لعبد الرحمان بوقرموح 1978 .

محمد زينات مع مومو



42 – بوعلام قرجو مخرج جزائري ولد 1965 أسنيار بفرنسا .
" العيش في الجنة " 1999 .
43 – سعيد ولد خليفة مخرج سينمائي و مسرحي و صحفي و ناقد ، ولد بتونس .
" شاي آنيا " 2005 .
44 – جمال فزاز مخرج تلفزيوني و سينمائي ، 1950 بسكيكدة – توفي بالجزائر 2004 .
" لحن الأمل " 1992 .
45 – دحمان أوزيد مخرج ، 21 يناير 1950 تيزي وزو .
" الساحة " 2010 .

46 – آسيا جبار روائية و شاعرة و مخرجة تلفزيونية جزائرية ،
30 جوان 1936 شرشال .
" نوبة نساء شناوة " 1978 .



المخرج سعيدولد خليفة

47 – حفصة زناي قوديل أو كوديل روائية و مساعدة إخراج و مخرجة
1951 عين البيضاء .
" الشيطان امرأة " 1994 .
48 –يمينة بشير شويخ مديرة تصوير و مركبة أفلام ومخرجة ،
ولدت 1954 الجزائر .
" رشيدة "2001 .
49 – جميلة صحراوي مخرجة جزائرية ، 1950 الجزائر .
" بركات " 2006 .
50 – فاطمة الزهراء زعموم فنانة تشكيلية وروائية ومخرجة سينمائية
جزائرية ، ولدت سنة 1967 برج منايل .
" زهر " 2009 .

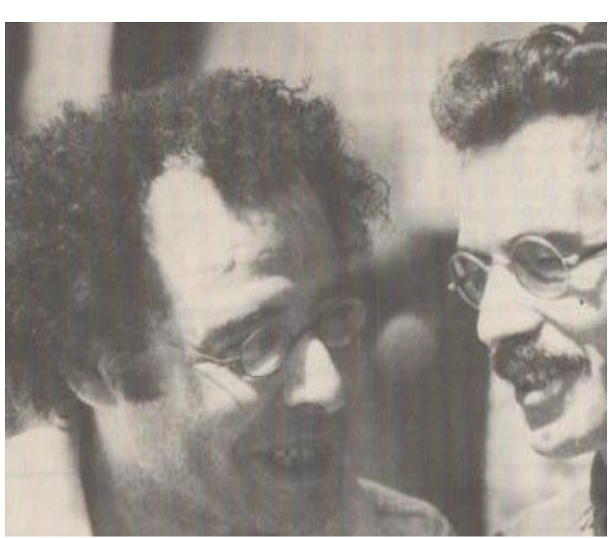
51 – فاطمة بلحاج ممثلة مسرحية و سينمائية و مخرجة تلفزيونية و سينمائية جزائرية .
" مال وطني " 2009 .



المخرجة ناديا شرابي

52 – ناديا شرابي العبيدي باحثة في مجال السينما تحصلت على الدكتوراه من جامعة السربون من فرنسا سنة 1987 ، انتقلت إلى الإخراج السينمائي بعدها .
" الوجه المعكوس للمرآة " 2007 .
53 – يمينة بن قيقي أو زهرة بلعايدي مخرجة فرنسية تلفزيونية وسينمائية ، 9 أبريل 1957 ليل –فرنسا –
" الأحد ..إن شاء الله " .2007 .
54 – زايدة غراب فولتا ممثلة مسرحية و سيينمائية و مخرجة سينمائية جزائرية ،ولدت سنة 1968 بفرنسا .
" مرحلة الشباب الذهبية " 2001 .
55- مالك شيبان مخرج جزائري ولد سنة 1964 بفرنسا .
" مسدس " 1994 .
56- سامية شالة مخرجة جزائرية ، 1964 بالعاصمة .
" الطيور لا زالت تغني القصبة " فيلم قصير 2000
57-لوريت مقراني محامية و مخرجة سينمائية جزارية ولدت 1959 .

" امينة " .



المخرج براهيم تساكي على اليمين

8 – أمل بجاوي مخرجة مسرحية و سينمائية جزائرية ، ولدت بالجزائر العاصمة .
" إبن " 2003 .
59 – صابرينة دراوي مصورة ومختصة في الكيمياء ومخرجة جزائرية فرنسية ، ولدت 1978 باتنة .
" قولي لي " 2008 .



مجموعة ممثلين في فيلم لحن الأمل

60 –طارق تقية كاتب سيناريو و مخرج سينمائي جزائري ، ولد 1966 بالعاصمة الجزائرية .

" قبلة - داخل البلاد " 2008

61-عبد الرحمان بوقرموح مخرج تلفزيوني و سينمائي ، 21 يناير 1936 أوزلاغن .

" الهضبة المنسية " 1996 .



صابرينة دراوي

62 – عز الدين مدور مخرج تلفزيوني و سينمائي جزائري ، 8 ماي 1947 سيدي عيش – 16 ماي 2000 .

" مشاهو " 1994 .

63-فاروق بلوفة مخرج تلفزيوني ، 20 أبريل 1947 واد الفضة . " نهلة " 1981 .

64 – حبيبة جحنين اديبة وصحفية و مخرجة ، ولدت سنة 1968 بالجزائر العاصمة .

" صانعو المألوف " 2009 .



محمود زموري

السينما الجزائرية خارج الرقعة و داخلها

السينما الجزائرية والإنتاج المشترك :

عرفت السينما العالمية ظاهرة الإنتاج المشترك منذ البدايات الأولى للصناعة السينماتوغرافية ، فكان السينمائيون يلجؤون إلى الجهات الأجنبية المكلفة بالإنتاج السينمائي لمساعدتها في اكتمال مشروعها الفني ، فالسينما تعتمد بدرجة كبيرة على الجانب المادي ، إذ يكلف إنتاج الأفلام دائما أموالا طائلة ، فالسينما تجارة و صناعة ، و أصحاب البنوك و الممولون و صناع الأشرطة و والموزعون ينظرون إليها بمنظار تجاري ، أما العمال و التقنيون فيعتبرونها مهنة ، و البعض الآخر كالممثلين و المخرجين و المشاهدين فيعتبرونها فنا **.- 1-**

ولكن الأكيد أن فن السينما لا يوجد إلا بوجود دعم مادي اقتصادي ، لذا نجد المولعين بهذا الفن يستعملون كل الطرق لتحقيق أهدافهم ، فإخراج أي فيلم يعتبر حدثا ثقافيا مهما ، لذا يلجأ صاحب الفيلم في كثير من الأحيان إلى طرق العديد من الأبواب لتمويل فيلمه حتى يرى النور ، و يتساوى في هذه النظرة المخرجون العرب و الأوروبيون ، و ما شهدته الجزائر من محاولات عديدة لدعم أفلام أوروبية لدليل على صحة الرأي .

فإذا استثنينا كل من روني فوتيي مع أفلامه التي صورها أثناء حرب التحرير الجزائرية ، و مواطنه جاك شاربي الذي استعان بالمركز الوطني للسينما الحديث النشأة بعد استقلال الجزائر مع فيلم "سلم فتي " 1964 ، إذ يمثلان حالة خاصة في تاريخ السينما ، ومبادئهما هي التي قادتهما إلى مساعدة الجزائريين أثناء الثورة و استعمال الكاميرا كسلاح ضد الظلم ، فإن العديد من المخرجين العالميين استعانوا بمؤسسات إنتاج جزائرية لتموين أفلامهم ، و منهم الإيطالي جيلو بنتكرفو Gillo Pontecorvo مع فيلمه العالمي " معركة الجزائر " 1966 من إنتاج أفلام القصبة و Igor Filmsإيغور فيلم الإيطالية .

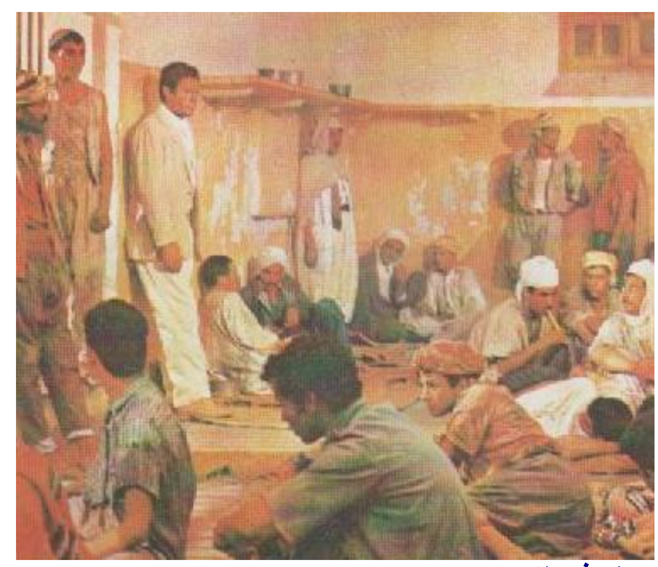


الغريب للوكينو فسكنتي

و من المخرجين الإيطاليين نذكر إينزو بيريEnzo Peri الذي أخرج بمعية موسى حداد " ثلاثة مسدسات ضد سيزار Trois Pistolets contre Cesar" 1967 ، أو لوكينو فشكنتي Luschino Viscontiالذي حول رواية ألبير كاميAlbert Camus إلى فيلم " الغريب L'’Etranger" و كذلك نذكر سرجيو سبينا Sergio Spina " الحمار الذهبي Ane d'or" 1971 ، و ماريو مونشيلي مع فيلمه " برونكاليون و الحروب الصليبية " 1971 ، و إيتوري سكولا مع فيلمه " الحفلة " 1982 .

و من المخرجين الفرنسيين نذكر دونيس دو لا باتوليار وفيلم " الشمس السوداء " 1967 ، وكوستا غافراس مع فيلم المتميز " زد –Z" 1968 ، وميشال دراش مع " إليز أو الحياة الحقيقية " 1970 ، أو كذلك جون لوي برتوشيلي الإيطالي

مع فيلمه الفرنسي " Rempart D'argiles" 1970 .أو إدوار مولينارو و فيلمه " " إعترافات رقيقة " 1970 و نذكر كذلك سيرج ليبرون " أترك إسمنت " 1985 و الألماني الشرقي ستيفن برنار Stephen Bernhard و فيلمه " العودة من الصحراء Le Retour du Désert" 1991 **.-2-**



الغريب للوكينو فسكنتي

ومن مدغشقر نجد المخرج راند راسانا سولو وفيلمه "ماد 47 " 1987 ، أو السينغالي سمبان عصمان و فيلمه " معسكر تياروي " 1988 و المالي جيم كوالا و فيلم " الغرباء " 1991 .و من اوزبكستان شرمو خامدوف الذي أخرج بمعية غوثي بن ددوش الجزائري " سوغديان موطن الآلهة " 1996 .

كما نجد يوسف شاهين المصري يشترك في بعض أعماله مع الديوان القومي للصناعة و التجارة السينماتوغرافية بداية من فيلمه " العصفور " 1971 ، و بعده "عودة الإبن الضال " 1976 ، و" إسكندرية ليه " 1988 مع الكاييكCAAIC ، ونجد مخرجا مصريا آخر خيري بشارة مع فيلمه " الأقدار الدامية " 1980 ، و التونسي الطيب لوحيشي و فيلم " ليلى " 1990 .

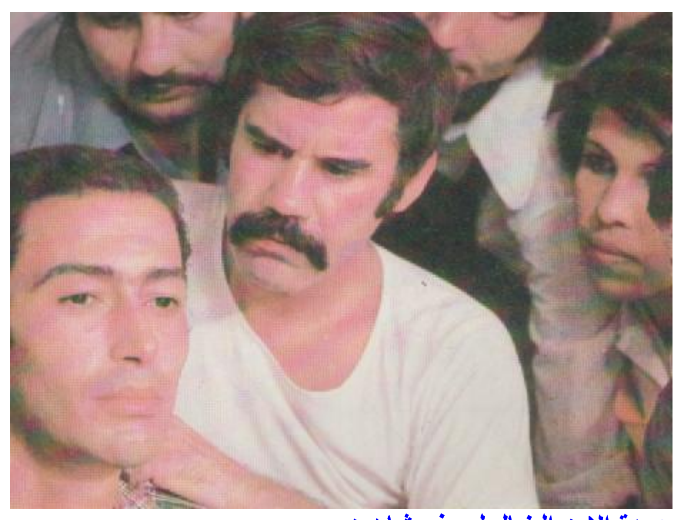
إن أفلام القصبة التي اشتركت مع العديد من الأفلام الأوروبية و بعدها الديوان الوطني للتجارة و الصناعة السينماتوغرافية الذي أنشأ سنة 1967 ،

تجعل الأفلام المنتجة بنظام الإشتراك تنسب إلى البلدين المنتجين و في بعض الأحيان إلى ثلاثة بلدان بفعل الاشتراك ذاته ، ولهذا يصبح فيلم "معركة الجزائر "فيلما جزائريا و إيطاليا في نفس الوقت ، و هكذا الحال تتشابه مع كل الأفلام المنتجة في الجزائر و ليست جزائرية الموضوع .



ديسمبر لمحمد لخضر حامينا

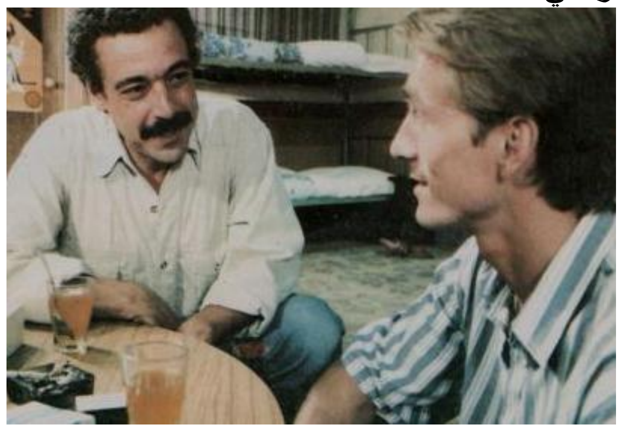
أما بالنسبة للمخرجين الجزائريين فقد لجؤوا منذ البداية إلى مؤسسة التلفزيون الجزائري لتمويل بعض المشاريع حين يغيب الدعم من الجهات السينمائية ، و كانت أول تجربة مع فيلم مصطفى بديع " الليل يخاف الشمس "1965 ، وثاني تجربة ناجحة كانت مع بلدية الجزائر العاصمة حين لجأ إليها محمد زينات لدعم فيلمه " تحيا ديدو " 1971 ، في حين استعان كل من محمد سليم رياض بالتلفزيون الجزائري بالاشتراك مع الديوان القومي للتجارة السينماتوغرافية لإنتاج فيلمه " تشريح مؤامرة " 1977 ، و كذلك فعل مرزاق علواش " مغامرات بطل " 1978 و محمد لخضر حامينا مع فيلمه " ريح الرمال " 1982 .



عودة الإبن الضال ليويف شاهين

أما صاحب" هاتف عمومي " محمد سويداني فقد استعان بالتلفزيون الجزائري و التلفزيون السويسري ، في حين استعان على غانم بالتلفزيون الجزائري ووزارة الثقافة الجزائرية لتموين آخر فيلم له " لكل حياته " 2007 .
وخاض محمد سليم رياض تجربة الإنتاج المشترك مع منظمة التحرير الفلسطينية مع فيلمه "سنعود "1972 .
و أول مخرج جزائري يلجأ إلى الإنتاج المشترك مع الشركات الفرنسية محمد لخضر حامينا بفيلمه "ديسمبر " 1971 من إنتاج ديوان الوثائق الجزائرية و تلسيا فيلم Telcia Filmsالفرنسية ، وكذلك استعان بإنتاج فيلمه " الصورة الأخيرة " بالشركة الدولية للإنتاج السمعي البصري .
ويشترك عمار العسكري مع تونس لإنتاج فيلمه " أبواب الصمت " 1987 ، ومع الفيتنام لإنتاج فيلمه الأخير" زهرة اللوتس " 1998 . CAAIC-Seco Films Vietnam –Atlantis Films International France، **3-** - أما مالك لخضر حمينا ففي فيلمه " أكتوبر ..خريف الجزائر " استعان بشركات

فرنسية ، وكذلك عز الدين مدور وفيلم " جبل باية " 1997 ، و بعدهما يمينة شويخ مع فيلمها "رشيدة " 2002 .
أما المخرجين الجزائريين المقيمين في أوروبا فيلجؤون في كل الحالات إلى تمويل خارجي لأفلامهم ، أو تمويل مشترك بين المؤسسات الجزائرية الحكومية و الخاصة و الممول الأجنبي ، ومن الأفلام العديدة ذات التمويل المشترك فرنسي و جزائري نذكر كل من " خذ أربعة ألاف و غادر Prend Dix Mille Balles et Casse -Toi" 1983 و " من هوليوود إلى تمنراست De Hollywood à Tamanrasset"1989 لمحمود زموري أو " المضحى بهم Les Sacrifiés " لعكاشة تويتة 1983 ، فالمخرج طرق كل الأبواب ، ولكن لم يلق طلبه إصغاء، إلى أن اتصل به المنتج الفرنسي جون مارك هنكوز Jean Marc Henchoz و أنتج فيلم " المضحى بهم " بمعية التلفزيون الفرنسي



العودة من الصحراء للألماني ستيفن برنار

، وبهذا يبقى الفيلم من إنتاج فرنسي ويصر المخرج على أنه إنتاج مشترك باعتبار انتمائه الجزائري .**-4** –
و يضطر رشيد بوشارب إلى إنشاء شركة للإنتاج السينمائي حتى يتمكن من تحقيق طموحاته الفنية ، و كان فيلم " شاب " 1989 أول تجربة قام بها

بوشارب ، في حين تبقى بعض الأعمال السينمائية تخضع كليا لطابع الإنتاج المشترك و منها " ظلال بيضاء "لسعيد ولد خليفة 1991 ، و" توشيا "لرشيد بن براهيم **E.N.P.A-CAAIC-Films Singuliers France-1992 - 5 -. Adventure Films Production USA**
أو " مشاهو " لبلقاسم حجاج 1994 ، وكذلك " باب الواد الحومة " لمرزاق علواش 1994 أو " حراقة "2009 .
وتظل كل هذه الأعمال ذات التمويل المشترك تنسب إلى جهتين دون واحدة منهما ، غير أن المواضيع المطروحة تجعل عادة الشريك في الإنتاج يتقبل بسهولة ميل الفيلم إلى جهة دون أخرى ، و لكن هذا لا يعني فقدانه حقوقه المادية الناتجة عن عرض الفيلم بالقاعات المحلية أو الأوروبية و في بعض الأحيان في الولايات الامريكية المتحدة .



عكاشة تويتة يوجه الممثلين

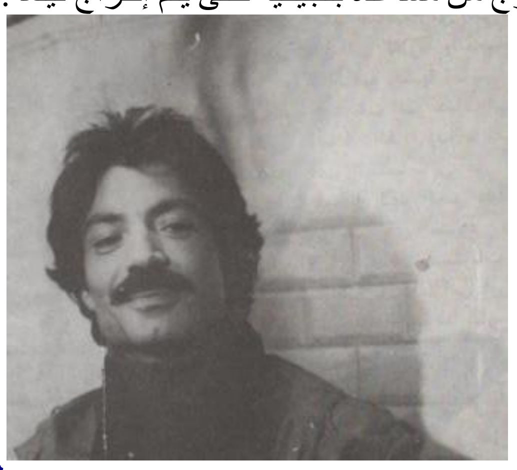
سينما الهجرة :

سينما الهجرة هو المصطلح الشائع عند بعض النقاد العرب ، و ينعتون به كل فيلم مصدره مخرج مهاجر في أوروبا أو كندا أو الولايات المتحدة الأمريكية ، و بالنسبة للجزائريين فإن الهجرة تتم على المستوى الأوروبي و بخاصة فرنسا ، نظرا للظروف التاريخية و اللغوية ، **-6 -**



علي في بلاد السراب

و هنا أيضا يجب توضيح المفاهيم ، إذ هناك فرق بين ما يصدره المهاجرون العرب من أعمال سينمائية عن الهجرة و في الهجرة و بين السينمائيين المهاجرين الذين يسعون إلى التصوير داخل بلادهم بوسائل محلية أو بالإستعانة بوسائل أوروبية .
ونطلق على إنتاج السينمائيين الذين يخوضون في مواضيع الهجرة و وضعية المهاجرين في الغربة و تأثير البيئة و الثقافة الغربية عليهم بسينما الهجرة ،و أول من يواجهنا محاولات المخرج الجزائري المغترب في مرحلة الستينات و السبعينات في فرنسا محمد بن صالح بفيلم قصير " تيه " 1968 ، و " لازم لازم " 1970 أو " البعض و الأخرين " 1972 ، وقد استفاد المخرج من مساعدة بلجيكية حتى يتم إخراج فيلمه.



علي في بلاد السراب

أما أول مخرج جزائري حاول إظهار واقع المهاجرين بأفلام طويلة و بمشاركة تقنيين فرنسيين فهو علي غانم ، إذ هاجر إلى فرنسا منذ بداية الستينات ، و اشتغل في عدة مهن قبل أن يتجه إلى السينما فكان أول فيلم له " مكتوب " 1970 وهو من إنتاج فرنسي ،-7- عالج فيه الوضعية الصعبة التي يعيشها الجزائريون في المهجر ، وتبعه فيلم " فرنسا الأخرى " 1975 ، و دائما مع نفس الطرح يعود مرة أخرى إلى الجزائر ليصور

واقع علاقات المهاجرين بالجزائريين من خلال فيلمه " زوجة لإبني
"1982 المقتبس عن رواية للمخرج بنفس العنوان ، و كان آخر أفلامه
"لكل حياته " 2007 ، دائما عن وضعية المهاجرين من الجيل الثاني و
الثالث وارتباطهم بموطن الولادة مقابل جيل لا زال يحن إلى العودة إلى
موطنه الأصلي مثلما يفعل بطل الفيلم .

إن علي غانم يعتبر رائد سينما الهجرة ، و لكنه في نفس الوقت يمثل
نموذجا للسينمائي المنتسب و المرتبط ارتباطا وثيقا مع السينما الجزائرية ،
و قد تجلى ذلك بوضوح من خلال فيلميه " زوجة لإبني " و " لكل حياته "
المنتجين من طرف مؤسسات جزائرية و المعروضين على أساس أنهما
فيلمين جزائريين خالصين .



المخرج علي غانم

و تبدأ سينما الهجرة مرحلة متميزة ببعض الأعمال المشتركة مع مخرجين
فرنسيين في خطوة للفت انتباه المشاهد الغربي للظروف التي يعيشها
المغتربون في فرنسا و من بين الأفلام البارزة " على رجل واحدة عبر
الحدود " لمحمد بن سالم و مونيك مارتينو Monique Martineau 1976 ،
و هو من إنتاج المخرجين ، و كذالك نذكر " سفر بالرأسمال Voyage en

Capital لعلي عقيقة و آن ماري أوتسييه Anne-Marie Autissier 1977 ،
و الفيلم المشهور "علي في بلاد العجائب "
لجوهرة عبودة وألان بونامي 1977Allain Bonnamy ، أو " دموع و دم
" لعلي عقيقة و أن ماري أوتسييه 1978 **.-8 -**



زوجة لإبني لعلي غانم

كما يلجأ الكثير من المخرجين الجزائريين إلى تموين فرنسي لتحقيق مبتغاهم و تبليغ أفكارهم للمشاهد الغربي ، ومنهم محمد علقمة مع " مغادرة تيونفيل " 1977 ، أومرزاق علواش مع فيلمه " حب في باريس " 1986 ، ومن الذين أثبتوا تحكمهم في الإخراج وقدرتهم على الإبداع داخل السينما الفرنسية بوعلام غرجو ، الذي بدأ بفيلم قصير " حلبة " 1987 ، وحين أعطيت له الفرصة الحقيقية استطاع أن يظهر قدراته الإبداعية من خلال فيلمه " ألوان الأطفال " 1994 ، ثم " العيش في الجنة "1999 ، أو " زينة فارسة الصحراء " 2004 الذي صور بالمغرب .

كما نجد المخرج الجزائري رشيد بن حاج الذي تمكن من إخراج فيلمين بالجزائر" وردة الرمال "1985 و" توشيا " 1992 ، و لكنه يستقر في إيطاليا بعد ذلك ، ويساهم في إخراج مجموعة أفلام إيطالية منها

وبعد ذلك Ultima cena1995 و l’albero dei destini 1997 mirka 2000
لينتقل بعد ذلك إلى تحويل رواية الأديب المغربي محمد شكري إلى فيلم سينمائي " الخبز الحافي " 2005 .
ومن بين المهاجرين الذين أثبتوا كفاءتهم في مجال الإخراج السينمائي و التلفزيوني مالك شيبان الذي بدأ مشواره بفيلم "مسدس hexagone " 1993 ، لتتوالى الأعمال السينمائية تباعا " عذوبة فرنسا " 1995douce france أو " مولود في مكان ما 1997 né quelque part " أما آخر إنتاجاته " ساخطة " furieuse " وهوفيلم تلفزيوني .
حاول مالك شيبان أن يطرح من خلال أفلامه موضوع المهاجرين و ظروفهم الصعبة و علاقتهم بالفرنسيين ، وبهذا استطاع أن ينقل معاناة الجزائريين في فرنسا بموضوعية الشاهد المتبصر ، ولم ينجر وراء الأفلام التي تبعده عن جوهر قضيته .
ومن المبدعين الجزائريين المرتبطين بالإنتاج الفرنسي أمل بجاوي بفيلمها " إبن " و أحمد حمو رزوقي مع " هجرة " و يمينة بن غيغي " مذكرات مهاجرين " و " سقف من زجاج " أو " الأحد إن شاء الله " و فضيلة جردم " ناديا وفاطمة و نعيمة و جميلة و الآخريات " وكذلك زايدة غراب فولتا " شباب من ذهب " و ليلى حبشي مع فيلمها " حياة المنفى " .
ومن المهاجرين الذين اثبتوا وجودهم في عالم السينما الفرنسية بمواضيع ترتبط مباشرة بعالم الهجرة رابح عامر زعيموش بفيلمه " واش واش " و " بلاد رقم واحد " أو " آذان " 2009 .
ومن المحاولات الفردية التي لم تتكرر نذكر ناصر بختي " ظلال الليل " و مبروك المشري " فيرجيل " و مهدي بوبكر المغترب في كندا مع أول فيلم له " مولوتوف " عن أحد المهاجرين الجزائريين بكندا و ما يلاقيه من متاعب ترتكز جلها حول التمييز العنصري .
و يبقى محمود زموري وفيا لتوجهه القديم ، فهو يفضل معالجة القضايا الاجتماعية عبر الطرح الكوميدي ، وهي محاولة لجلب المشاهد إلى قاعات السينما الجزائرية ، و في نفس الوقت لجعلها ذات بعد إنساني ،

فكان فيلم " بور و أبيض و أحمر " 2005 استعراضا للصراع الداخلي للمهاجرين الجزائريين بين الانتساب إلى البلد الجديد أو الانتماء إلى الوطن الأصلي ، من خلال مثير رياضي متمثل في مقابلة في كرة القدم بين الفريق الوطني الجزائري و المنتخب الفرنسي .

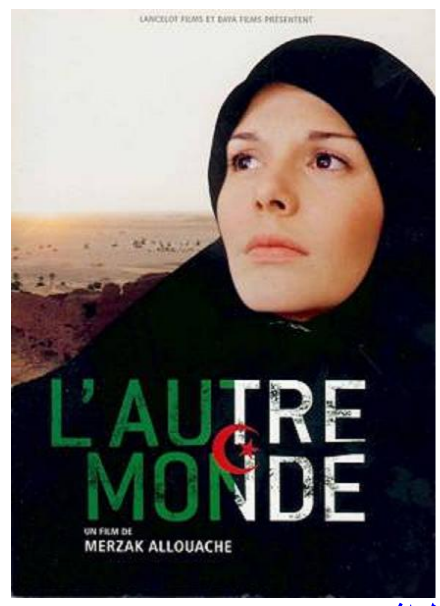
وجمال بن صالح بعد تجربتين في الإخراج " السماء ، الطيور ..و أمك "1998 ثم " الغارة " يفضل الكوميديا مع فيلمه " حدث ذات مرة في الواد " 2005 ، و فيه إصرار كبير للإنتماء إلى وطنه الجزائر عبر شخصية رمزية ذات أصول فرنسية تتوهم أن منبعها الجزائر ، و يتم من خلالها التعرف على مفارقات داخل المجتمع الجزائري الحديث ، ومع أن الفيلم لقي نقدا من طرف النقاد ، إلا أنه يؤكد مدى ارتباط السينمائيين المهاجرين لوطنهم و محاولة ترقية الفن به ، ويبقى المنظور يختلف دائما مع الواقع و الحقائق الخفية لصيرورة المجتمع الجزائري .

و ذلك المنظور الجديد ، المثير للجدل في كثير من الأحيان ، وقع فيه نذير مخناش في جل أفلامه تقريبا بداية من " حرم السيدة عصمان " 1999 مرورا ب" تحيا الجزائر " و وصولا إلى " ديليس بالوما " 2007 ، ولكن هناك إصرار على جزائرية هذه الأفلام و تمثيلها للسينما الجزائرية ، و بخاصة في المهرجانات الدولية ، مما يجعلنا نصنفها قسرا إلى نفس السينما ، ومحاولة تحليل مضمونها و نقدها موضوعيا .

السينما الجزائرية داخل الرقعة و خارجها :

لا شك أن السينما صناعة وتجارة و إبداع فني ، و كل عنصر من هذه العناصر هام بحيث لو انعدم أحدها أثر سلبا على وجود الفن السينمائي ، فالجزائر في المرحلة الأولى بعد استقلالها ورثت عددا كبيرا من القاعات

السينمائية مما يعني وجود تجارة سينماتوغرافية ، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لوجود سينما جزائرية لولا التفكير في تكوين إطارات السينما ومبدعين فيها ، لذا لم تمر إلا سنوات قليلة حتى بدأت النتائج تبدو للعيان .
و الآن بعد مرور خمسة عقود على الاستقلال تضاءل عدد القاعات حتى أصبح يعد على الأصابع ، ومع ذلك لا زالت السينما الجزائرية قائمة كصناعة و إبداع ، وذلك بفضل ميكانيزمات مالية طرحتها الجهات المعنية كمحاولة للإبقاء على الفن السابع قائما .
وهذا يعني أن الأسس التي بنيت عليها السينما في الغرب ، قد تصلح في بلدان مختلفة اتخذت السينما تجارة ، و لكن بعض التجارب لا يمكننا أن نتناساها ، فالاتحاد السوفياتي سابقا ابتكر طريقة جادة لترقية وتطوير السينما في روسيا عن طريق خلق قطاع عام يتكلف بإنتاج و توزيع المنتوج السينمائي ، و كان ذلك النظام ناجحا بنسبة كبيرة ، وهو نفسه النظام التي اتبعته الجزائر مع نهاية الستينات إلى غاية زمننا الحاضر ، وقد انتقد نفس النظام في مراحل سابقة ، إلا أن السينمائيين لم يجدوا عنه بديلا ما دامت السينما الجزائرية لا تهتم بالأرباح التي تجنيها من العروض السينمائية ، فيصبح الحل الوحيد لإخراج فيلم جزائري هو دعم الدولة ، ولهذا الشأن أسس صندوق خاص لدعم الأعمال السينمائية الجزائرية " فداتيك" صندوق دعم الأعمال السينمائية ،فحقيقة السينما الجزائرية أنها تعتمد على الجانب الإبداعي الخالص دون التجاري ، و هي وضعية فريدة ، و لكنها الحل الوحيد للحفاظ على أحد أهم الفنون التي أبدع فيها الجزائريون ، بل إن السينما هي الفن الذي توج أصحابه بجوائز عالمية من أشهر المهرجانات السينمائية في العالم بداية من مهرجان البندقية الإيطالي إلى كان الفرنسية إلى دمشق و القاهرة و تونس وواغادوغو وغيرها .



العالم الآخر لمرزاق علواش

و انطلاقا من مبدإ الحفاظ على السينما الجزائرية من الاندثار و التقهقر ، تمسك الكثير من السينمائيين بالقطاع العام المنتج و المسير للمنتوج السينمائي ، في حين لجأ البعض الآخر إلى تمويل خارجي لأعمالهم ، بالرغم مما تفرضه العملية من تنازلات على مستوى الطرح الفكري للأعمال ، وقد كانت أول تجربة جلية مع المخرج محمد لخضر حامينا مع فيلمه " ديسمبر " إذ وجدنا فيه انحرافا جليا في الرؤية لوقائع حرب التحرير الجزائرية ، و كانت تجربته الثانية أكثر جلاء مع فيلمه " الصورة الأخيرة " غير أن محمد لخضر حامينا لم يكن في وضع حرج ، و لم تمنع عنه مصادر التمويل ، و إنما كانت غايته الخروج بالسينما الجزائرية من المحلية إلى العالمية لذا كانت أعماله المذكورة ترتكز على ممثلين فرنسيين عالميين .

أما مرزاق علواش صاحب " عمر قتلاتو الرجلة " فقد اختار الهجرة إلى فرنسا منذ النصف الثاني من العقد الثامن ، وحاول إثبات مواهبه في السينما الفرنسية مع "حب في باريس " 1986 ، و " زوزو " 2003 ، غير أنه لم ينفصل كليا عن منابعه الأصلية ، ولهذا كان من بين السينمائيين المهاجرين الذين اختاروا معالجة القضايا التي تعاني منها بلادهم و بخاصة في مرحلة التسعينات مع تفاقم الأزمة السياسية بالبلاد ، بل إن مرزاق علواش تحدى الصعوبات و صور فيلمه " باب الواد الحومة " في ظل وضع أمني صعب جدا ، و ظل علواش يتابع تطورات المجتمع الجزائري بعد ذلك فكان فيلمه الثاني محاولة لفهم الوضع السياسي بالجزائر " العالم الآخر " ، و بعد انفراج الأزمة توجه من جديد إلى أحياء العاصمة ليرصد ما جد من تطورات عند الشباب فكان فيلمه " باب الواب " .

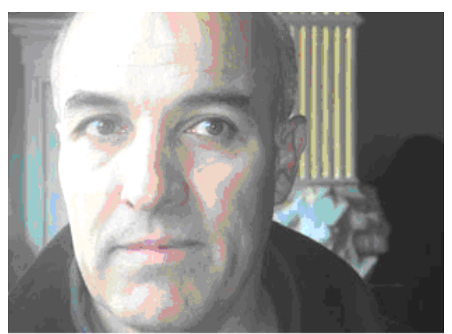
و ظل مرزاق علواش متعلقا بوطنه و شغوفا بنقل همومه إلى المشاهد الغربي ، فكان فيلمه " حراقة " رؤيا واقعية لمجتمع تائه ، و صورة حافية لشباب يعيش وهم الهجرة إلى الأراضي الأوروبية ، ويرفض البقاء في وطنه بحجة تهميشه و قتل طموحاته .



شاب لرشيد بوشارب

يمثل مرزاق علواش بحق نموذج الفنان المرتبط بواقع مجتمعه ، و المتطلع في نفس الوقت إلى عرض إنتاجه و إبداعه على المشاهد الغربي، فالوسيلة الوحيدة للحفاظ على الفيلم السينمائي عرضه في قاعات سينمائية ، و للأسف فإن القاعات في الجزائر لم يعد لها وجود ، ولهذا لجأ مرزاق علواش و لا زال إلى المنتجين الفرنسيين لتسهيل عرض أفلامه في القاعات الفرنسية ، في حين يكتفي السينمائيون المحليون بالمهرجانات العربية و الدولية لعرض إبداعاتهم على المشاهدين .

ومن هنا ننطلق لفهم واقع السينما الجزائرية الحالية ، و بخاصة بعدما أصبحت بعض الأفلام ذات التمويل الخارجي تحصد الجوائز في المهرجانات العالمية ، فكان التلميح من بعض النقاد العرب و الأوروبيين على أن هذه السينما ليست جزائرية المنبع و بالتالي لا تصنف ضمنها .
و الحقيقة أن سعي السينمائيين الجزائريين المحليين أو المغتربين إلى الإنتاج المشترك بين جهات جزائرية و أخرى فرنسية أو بلجيكية أو كندية فرضته الظروف المستجدة في عالم السينما بالجزائر ، فإنتاج أي فيلم ليس له مقابل ، نظرا لانعدام سوق داخلية ، وبالتالي يصبح اللجوء إلى الأسواق الأوروبية ضرورة ، وكما يتفق بعض النقاد على أن الفيلم متعدد التمويل ينسب دائما إلى مخرجه لكونه بذل مجهودات كبيرة لتحقيق مشروعه الفني .**-9 -**
و المثير للإعجاب أن الكثير من المخرجين الجزائريين المغتربين يرتبطون ببلدهم الأصلي عبر أعمالهم حتى و إن كانت ذات تمويل خارجي ، بل إن معظمهم عالج مواضيع مرتبطة بالمجتمع الجزائري و أزماته أو جمع بين موضوع الغربة و الوطن الأصلي .
و من بين المغتربين في فرنسا نجد مهدي شارف الذي بدأ حياته السينمائية بفيلم مرتبط بأصوله "شاي في حرم أرخميدس " 1985 ، أو " ابنة كلثوم " 2002 ، و كريم طرايدية الذي يعيش في بلجيكا حيث صور " قائلون الحقيقة " 2000 ، أوكمال دهان المغترب بألمانيا



المخرج عبد الكريم بهلول

بفيلمه " المشبوهون " 2003 ، ويمكن أن نذكر أيضا محمد سويداني " حرب بلا صور " 2002 ، و عبد الكريم بهلول " اغتيال شمس " 2004 , وسعيد ولد خليفة " شاي أنيا " 2005 أو " موريتوري " 2008 . و رشيد بن حاج بعد مغامرة سينمائية أيطالية يعود في فيلمه الأخير إلى الجزائر " عطر الجزائر" 2010 .

اما نذير مخناش فقد صور فيلمه " حريم السيدة عصمان " بالمغرب الأقصى , لكن الموضوع كان عن المجتمع الجزائري ، و عاد إلى الجزائر مع " تحيا الجزائر " 2004 .



مسخرة لإلياس سالم

و من الأسماء اللامعة في سماء الفن السابع يواجهنا مخرجان جزائريان مغتربان في فرنسا ، لكن أعمالهما الأخيرة كانت جزائرية أوبإنتاج مشترك مما يجعل نسبتها إلى السينما الجزائرية أقوى للجمع بين مصدر الإنتاج و جنسية المخرج .
أما الأول فهو لياس سالم الذي بدأ مشوره السينمائي ببعض الأفلام القصيرة إلى أن تمكن من إخراج أول فيلم له " بنات العم " 2003 ، و يعود سنة 2009.



المخرج لياس سالم

للجزائر لإخراج فيلمه الثاني " مسخرة " ، الذي تحصل على العديد من الجوائز في المهرجانات العربية وبالتالي تتأكد النظرة على أن السينمائيين الجزائريين بالرغم من ابتعادهم عن وطنهم إلا أنهم أقرب منه بواسطة أعمالهم الفنية ، ونفس الرأي يمكننا أن نصبغه على مخرج ثان هو رشيد بوشارب ، وهو اكثر حظا من المخرجين الجزائريين بفرنسا ، فقد تفطن إلى أهمية الإنتاج في الحقل السينمائي ، فبدونه لا يمكن لأي مخرج أن يحقق أهدافه الإبداعية .

فبعد تجربة طويلة في العمل التلفزيوني كمساعد مخرج ، ومحاولة في الإخراج السينمائي " العصا الحمراء " 1985 ، ينشأ رشيد بوشارب برفقة جون بريا شركة للإنتاج السينمائي 1989 " 3 ب " ، و التي ستمكنه من الولوج إلى عالم السينما العالمية و الفرنسية ، و تقوم الشركة بإنتاج عدة أفلام فرنسية ، و تفتح المجال واسعا أمام رشيد بوشارب لاقتحام عالم الإخراج ثانية بكل ارتياح .

الفيلم الثاني لرشيد بوشارب " شاب " 1991 يطرح مجددا موضوع الهجرة و علاقة المهاجرين بالمجتمع الجزائري على غرار الفيلم الأول ، و هنا يؤكد رشيد بوشارب على انتمائه الحقيقي وواقعيته في طرح القضايا التي تشغله انطلاقا من موقعه كمهاجر .

ومع الفيلمين التاليين سيتحصل على جوائز عالمية إذ تحصل " غبار الحياة " 1995 على أوسكار احسن فيلم أجنبي ، بينما يتحصل " السينغال الصغير " 2001 على الدب الذهبي من مهرجان برلين للسينما .

ويزيد اهتمامه بالتاريخ وبواقع المهاجرين من خلال فيلمه " بلديون " 2006 ، بحيث ركز فيه على الجنود العرب من شمال إفريقيا الذين جندوا للدفاع عن فرنسا خلال الحرب العالمية الثانية ، و همشوا بعد ذلك ، فكان الفيلم صرخة سياسية في وجه الفرنسيين ، و تصويرا دقيقا لدقائق ما عاناه الجنود العرب في الحرب العالمية الثانية .

و مباشرة ينتقل إلى تفاصيل تاريخية أخرى تخص المهاجرين الجزائريين بفرنسا منذ الأربعينات من القرن الماضي ، فكان فيلم " خارج عن القانون " 2010 محاولة لإظهار كثير من الحقائق التاريخية التي تحرج الجانب الاستعماري ومنها مجازر سطيف و خراطة في الثامن من ماي 1945 ، وكذا الظروف الاجتماعية و السياسية التي سبقت اندلاع ثورة التحرير الجزائرية سنة 1954 .

لقد ساهم الجانب الجزائري بقسط متواضع في فيلم "بلديون " إلا ان المساهمة كانت كبيرة مع الفيلم الأخير لرشيد بوشارب " الخارج عن

القانون " مما يجعل تلك الأفلام تدخل ضمن نطاق الإنتاج المشترك ، غير أن المخرج اعتبر فيلمه الأخير فيلما جزائريا ، حتى أنه رشح لنيل الأوسكار عن الأفلام الأجنبية لسنة 2010 بانتمائه الجزائري.
وبهذا يتجلى لنا موقف المخرجين الجزائريين من قضية الانتساب إلى اوطانهم الأصلية و المساهمة في تطوير الفن السينمائي بها ، وهذا يفند ما دار من نقاشات حادة عن السينمائيين العرب المهاجرين إلى أوروبا ومدى ارتباطهم بأوطانهم أو سينما أوطانهم ، ومن جهة أخرى التأثير البارز للفكر الغربي في أعمالهم من حيث الطرح ، حتى أنهم اتهموا من طرف بعض النقاد بانسلاخهم عن ثقافتهم الأصلية **.-10 -**
ولكن الكثير من المخرجين الجزائريين المهاجرين يؤكدون انتماءهم لثقافتهم ووطنهم ، و أنهم يستفيدون أكثر من ثقافة الآخر ، إلى درجة أن تكونت لديهم ثقافة مزدوجة مثلما يصرح بذلك عبد الكريم بهلول :
" بالنسبة إلي تمثل – الثقافة المزدوجة –ثراء قد يمكنني من إعطاء إضاءة مختلفة للمواضيع التي لا تهم الجزائريين و لكنها تشدني بقوة " - 11 -
و هذه الثقافة الجديدة مكنت العديد من السينمائيين الجزائريين من النظر إلى المجتمع الجزائري بمنظار جديد قد يخالف نظرة الجزائريين له ، ومن هنا وقع التناقض في الرؤى ، إلى درجة الخلاف في كثير من الأحيان .
ويذهب مهدي شارف ابعد من ذلك حين يرفض أن يوسم بالمخرج المهاجر ، فالأصح أنه مخرج سينمائي فقط ، وهذا يجعله أكثر حرية في مناقشة المواضيع التي تشغله وتؤرقه ، و نفس المبدأ يؤمن به مرزاق علواش ، فهو يؤكد في كثير من تصريحاته أن الأفلام التي يصورها هي التي تؤكد جزائريته ، بينما ظروف العمل ، و الالتزامات القهرية التي تفرضها عمليات إنتاج الأفلام أنتجتها الظروف التي تعيشها الجزائر ، و التطور الذي شهدته السينما الفرنسية و الأوروبية من حيث آليات الإنتاج العالمي ، الذي أصبح أكثر تعقيدا نظرا للمنافسة الأمريكية للسينما الأوروبية **.- 12 -**

وفي هذا المجال يجب أن نحلل مقولة للمخرج التونسي رضا باهي الذي يقول إن المناخ الاجتماعي السياسي في بلاد المغرب العربي هو السبب في هجرة السينمائيين من أوطانهم ، و أن من الضروري البحث عن سبل



غير روما و لا أنتما لطارق تقية

جديدة لإنتاج أفلام عربية حسب ما تسمح به الظروف وتفرضه إلتزامات الإنتاج الجديدة ، ويصبح من الضروري إخراج أفلام أينما وجد السينمائي التسهيلات الممكنه للقيام بذلك ، و بالتالي يصبح موضوع الهجرة معكوسا، أي أن السينمائيين الذين يعيشون المنفى هم الذين بقوا في أوطانهم .**-13-**

قد يكون الأمر صحيحا ، و لكن لكل دولة عربية ظروفها الاجتماعية و الثقافية و السياسية الخاصة ، و بهذا يصبح جو الحرية الذي يعيشه المبدع في بلاده هو المقياس الحقيقي للإبداع ، وبما أن السينمائيين الجزائريين بقدر ما يبتعدون عن وطنهم يزدادون قربا منه ، يصبح إنتاجهم السينمائي بالضرورة إنتاجا جزائريا لارتباطهم أكثر من غيرهم من السينمائيين العرب بوطنهم .

" على الرغم من أن بعض الأفلام تصنع بأعين فرنسية و لأعين فرنسية إلا أننا نرحب بكل مبادرة أو فيلم يصنع من مخرج جزائري ، و إن كان ذلك في الخارج ، و بما أن للتمويل شروطه الكثيرة التي لا تسمح للمبدع بالعمل الحر ، فإننا نشجع الأفلام التي تنطلق من الجزائر "

عمار العسكري .-14 -

آفاق الافلام القصيرة :

عرفت السينما الجزائرية في سنة 2010 تتويجا دوليا للعديد من الأفلام الروائية الطويلة ، ولكن الملفت للانتباه تتويج الأفلام الخيالية القصيرة المنتجة في نفس السنة ، إذ تحصل فيلم "قراقوز" لعبد النور زحزاح على العديد من الجوائز منها جائزة لجنة التحكيم للأعمال الشابة وجائزة الجمهور من مهرجان إكس أون بروفنس بفرنسا 2010 ، وجائزة في مهرجان كومبو بإسبانيا وأخرى بمهرجان دبي السينمائي و أخيرا في مهرجان وهران بالجزائر ، في حين تحصل " خويا " ليانيس قوسيم على جائزة لجنة التحكيم بلوكارنو بسويسرا وهو الفيلم الثاني للمخرج بعد " ختي " الذي أخرجه سنة 2007 ، أما فيلم مؤنس خمار " الراكب الأخير " فتحصل على اللؤلؤة السوداء في مهرجان أبو ظبي وهو الفيلم الثاني

للمخرج بعد " نروحو " 2003 ، و هناك أفلام هامة جلبت اهتمام النقاد و المشاهدين منها" الباب "2006 و " الجن " 2010لياسمين شويخ و أيضا " أحمد " 2006 لمراد زيدي .

و بما أن الجزائر تعيش حالة متفردة ، تشكل خصوصيتها في إنتاج الأفلام السينمائية ، إذ يتم تمويل معظم الأفلام عن طريق صندوق تمويل الإنتاج السينمائي التابع لوزارة الثقافة الجزائرية، جاعلا بذلك تمويل كل الأفلام يأخذ طابعا عموميا قسريا ، هذا الوضع جعل القائمين على شؤون السينما يولون أهمية كبيرة للأفلام القصيرة ، إذ لاشيء يميز بينها و بين الأفلام الطويلة إلا فارق العرض الزمني ، فكلاهما يهدف إلى ترقية فن السينما .

ولهذا انتعش الفيلم القصير في الجزائر ، و أصبح يستقطب المبدعين الشباب ، فهو يمثل تجربة عبور إلى الأفلام الخيالية الطويلة ، فالتحكم في إخراج الفيلم القصير يساعد بدرجة كبيرة في تحقيق حلم كل مخرج في إخراج فيلم طويل .

مر جل المخرجين الجزائريين بعد الاستقلال بتجربة الأفلام القصيرة و بخاصة الأفلام الوثائقية ، ومنهم أحمد راشدي و محمد سليم رياض و توفيق فارس و أحمد لعلام ، و يجرب محمد لخضر حامينا الأفلام الخيالية بفيلم قصير" لحظة صورة "
1964 ، وعبد الرحمان بوقرموح بفيلم " مثل الروح "1965 ، ومحمد بوعماري " الحاجز " 1966 . – 16 –.

أما بالنسبة لعبد الحليم ناصف فكانت أول محاولة سنة 1962 بفيلم قصير " الطالب " ثم " القناقن " 1964 ، في حين يقوم بوشوشي يوسف بإخراج فيلم واحد " سليم و سليمة " 1963 ،و يمكن ان نذكر أيضا رابح بوشمحة الذي تمكن من إخراج فيلمين قصيرين
" الدرب " 1967 و " بائع الحليب " 1969 .-17 –

أما احمد بجاوي فقد أخرج فيلمين قصيرين " المنعرج الكبير " 1968 ، وبعده " الفدائيون " ، الذي عرض ضمن الفيلم الجماعي " قصص عن الثورة " مع كل من رابح لعراجي "القنبلة " و سيد علي مازيف " المبعوث " 1969 .-18 -



الجحيم في عشر سنوات إخراج جماعي

وكانت التجربة قد نجحت مع مجموعة مخرجين قبل ذلك مع فيلم " الجحيم قبل عشر سنوات " مع كل من غوثي بن ددوش وسيد علي مازيف وعبد الرحمان بوقرموح و عمار العسكري ويوسف عقيقة .1969 .- 19 -

و قد أدرك السينمائيون الجزائريون أهمية الأفلام القصيرة الوثائقية و الخيالية ، لذا سعوا جاهدين إلى المساهمة في تطويرها ، قبل الخوض في تجربة الأفلام الطويلة ، إذ نجد محمد نذير عزيزي يقدم " المهرجان الإفريقي للشباب " 1973 و " الأمير عبد القادر " 1984 قبل فيلمه المطول " زيتونة بو لهيلات "1978 ، اما مفتي الطيب فيعرض " عصفور الجزائر

الجحيم في عشر سنوات



" 1970 و " الفنون الشعبية " 1974 قبل فيلمه الخيالي الطويل " زواج موسى " 1982 ، و يمكننا أن نذكر العديد من السينمائيين مروا بنفس التجربة مثل مزيان يعلى قام بإخراج 18 فيلما وثائقيا قبل فيلمه الطويل " أغنية الخريف " 1983 .
بينما يكتفي احمد اوقصيري بفيلم وثائقي واحد قبل المشاركة في فيلم " سقف و عائلة " كمساعد مخرج 1982 ،أما أحمد كرزابي فيخرج فيلمين وثائقيين - 20–
و لا تخلو حياة المخرجين الفنية من تجربة الأفلام القصيرة ، فمحمد افتيسان بدأ حياته الفنية ببعض الأفلام القصيرة منها " المخرج " 1969 ، و كذلك عمار تريبش " الرفض " 1973 ، ومحمد أولبصير و رابح بوبراس وكمال دهان ورشيد بن براهيم، في حين يخرج عكاشة تويتة فيلمين قصيرين " قسم عادي " 1976 و "شارع ترتران " 1980 .



الجحيم في عشر سنوات

والظاهرة السينمائية التي لاقت نجاحا كبيرا هي الأفلام السينمائية الجماعية ، على غرار "الجحيم في عشر سنوات " و " قصص عن الثورة "إذ تكررت مرة ثالثة سنة 1982 مع " وقائع متفرقة " باربعة أفلام قصيرة هي " الملعونة " للهادي قلال و " المعللة" لدحمان أوزيد و " يوم الزيارة " لبدر الدين بوطمين و" المشبوه " لمصطفى منقوشي ، و هي تجربة عرفتها السينما العالمية قبل الجزائرية ، إذ نجد أفلاما فرنسية و إيطالية ومصرية تنهج سبيل الافلام الجماعية المرتكزة على مجموعة أفلام قصيرة يجمعها موضوع واحد . -21 -

غير أن الفيلم القصير بدأ مع نهاية الثمانينات يأخذ استقلاليته كنمط فيلمي له خصوصياته الفنية المتباينة مع الفيلم الطويل ،و بخاصة ما تعلق بوسائل التصوير ، ولهذا برزت بعض التجارب مع جمال مالك منها " صبار " ومع أحمد زير الذي أخرج العديد من الافلام القصيرة ما بين 1979 إلى 1995 ومن بين أفلامه " وقف إطلاق النار " ، وكذلك نذكر حمزة مهداوي و فريد لخضر حامينا .-22 -

ومع نهاية الثمانينات وبداية التسعينات نجد مجموعة أفلام منها " الله خلق الجبل و الإنسان و المدينة " لسليم عقار 1989 ، و " نظرة صعبة التصوير" 1993 و " صور سفر " 1995 و "دروس الأشياء " 1996 لفاطمة الزهراء زعموم ، و " الجزائر الحياةعلى كل حال "1998 و " الجزائر الحياة دائما " 2001 لجميلة صحراوي ، او" في اسفل النفق " و " حورية "2007 لمحمد يرقي و " الغرباء " لمحمد فاتح رابية و " فطور " لكريم موساوي و " ألم الصمت " 2003 لمينا كسار .
و أظهر بعض المخرجين إصرارا شديدا على إبداع الأفلام القصيرة ، و إبراز قدراتهم الإبداعية في هذا النوع من الافلام أمثال كريم بن صالح ، إذ كان أول عمل له " جزء من العمل " 2000 ، تبعه " سر فطيمة " 2004 و " باريس " 2005 و " الدار "2005 ثم " جذور " 2007 و اخيرا " ضجيج الصمت" 2010 ، ومن المخرجيين البارزين يحي مزاحم الذي يجمع بين الفيلم الوثائقي و الفيلم الخيالي ، ومن بين مجموعة الأفلام التي اخرجها نجد " تين هينان " و" البرتقال " 2003 ثم " مائة بالمائة بقر "2007 ، بالإضافة إلى مجموعة أفلام خيالية بنظام الفيديو .منها " الخيال " و "موح المنتقم " و"أنا و هي و الآخرين " و "الإنتقام " .
في حين يتمكن خالد بن عيسى من إخراج ثلاثة أفلام خيالية قصيرة هي " خوف خيالي " 2006 و و " بابل " 2007 و " سكتوا " 2008 .
و نجد مجموعة من المخرجين يستهلون حياتهم السينمائية بأفلام قصيرة ولكن سرعان ما تستهويهم الأفلام الطويلة وهم طارق تقية الذي قدم في البداية فيلمه القصير " الكلب " 1992 ثم "بقايا للإنتظار " 1998 و بعدهما " السياج " 2002 ، في حين يقوم نذير مخناش بإخراج فيلمين قصيرين " حنيفة " و " حديقة " 1996 ، و لياس سالم مع فيلمين قصيرين أولهما أخرجه سنة 1999 والثاني" بنات العم " سنة2003 .
و يبقى المخرج السينمائي الوحيد الذي اهتم بالافلام القصيرة دون أن يعرج على تجربة الأفلام الطويلة محمد بن صالح مع أربعة أفلام هي " تيه "

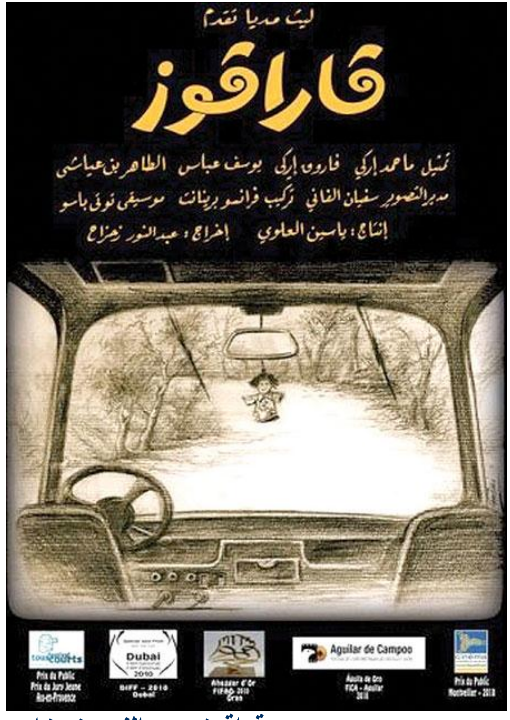
1968 و " حادث " 1970 و "لازم لازم " 1971 و " البعض و الآخرين
" 1972 .-22-



لقطة من فيلم " الجن " لياسمين شويخ

و مع النجاح الكبير الذي تلقاه الأفلام القصيرة في المهرجانات السينمائية الدولية يصبح من الضروري الاهتمام بالفيلم القصير على أنه أحد أنواع الأفلام السينمائية ، و انفصاله عن الفيلم الطويل باعتماده على أسس فنية مضبوطة ، ولكن تبقى مشكلة الزمن الفعلي للعرض الذي لا يتجاوز في كثير
من الأفلام القصيرة بضع دقائق ، و قد يكمن الحل في تجربة الأفلام الجماعية التي عرفتها السينما الجزائرية في مراحل متقدمة ، حتى يتمكن الجمهور من مشاهدة عدة أفلام تتعالق تحت موضوع واحد في فيلم واحد .

و من جهة أخرى تبقى تجربة الأفلام القصيرة عند المخرجين الشباب بوابة للولوج إلى عالم الفيلم الخيالي الطويل ، و بهذا تأخذ أهميتها في إعداد سينمائيي المستقبل .
و يمكننا إحصاء العشرات من المخرجين الجزائريين ظهروا في العشر سنوات الأخيرة ، كانت لهم تجربة أو تجربتين على الأكثر في مجال الإخراج ، ولكن توجههم كان نحو الأفلام الوثائقية ، التي تشكل نوعا مخالفا تماما للأفلام الخيالية ، ولكنها تستهوي المبدعين لواقعيتها ، و هي أقل تكلفة من الافلام الخيالية .
يصعب علينا حاليا ذكر جميع مبدعي الأفلام القصيرة ، و لكن سنشير إلى الكثير منهم ، و أول من يقابلنا عمر بلقاسمي مع فيلمه " دهية " و عبد الغني الراوي بفيلم " الآليون اليوميون " 2004 ، و نجد أيضا حسان فرحاني مع شريط " خلجان الجزائر " 2006 ، و بهية بن الشيخ الفقون مع فيلمها " إن هذا لقسطنطين " و نذكر أيضا أمقران محمد ماريش مع " عشر سنوات " و " سيفاكس " 20007 ، أو عبد النور زياني مع " فتاح " و اسماعيل سلخ مع " قعدة ".
كما نجد عملا جماعيا أشرف عليه الشيخ العيش بعنوان "لا بأس لا يوجد مشاكل " ، وعملا ثنائيا مع سامي علام و رمضان إيفتيني " حنيفة – حياة محروقة " 2007 ، وهناك بعض الاعمال الفردية منها " حارقين ..حارقين " لمريم عاشور بوعكاز 2008 ، و " مذكرات مقاطعة " لشريف مسعودن 2008 ، ونجد في هذا النوع من الأفلام القصيرة عشرات من الأعمال الفنية الإبداعية ، ولكنها في كثير من الأحيان لا تستمر ، فالكثير من المخرجين يعزفون عن الإخراج نظرا للظروف القاهرة التي تتحكم في عرض الاعمال الفنية للمشاهد ، نظرا لقلة القاعات المخصصة للعروض السينمائية ، و لكن تعتبر جميع الأعمال المنتجة في العقدين الأخيرين دليلا قويا على وجود حركة سينمائية جديدة تريد إثبات ذاتها ضمن الإطار السينمائي العام .



قراقوز عبد النور زحزاح

الإحالات :

1-Roger Boussinot : Encyclopédie du Cinéma , Tome 1 ,p xvii.

2 –Media Sud 9 Juillet 1991 ,p 51.

3 – Idem p 36 .

4 – الشاشتان العدد 55 – 56 أبريل – ماي 1983 ص 45 .

5 - Media Sud ,1 , Mai 1991 ,p11.

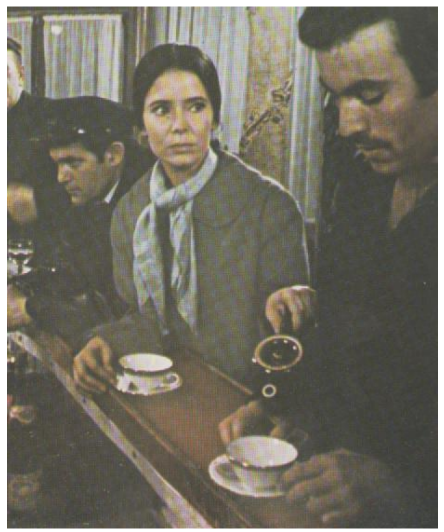
6 – Cinémaction p 110.

7 – الشاشتان ع 18 نوفمبر 1979 ص 65 .
8 – نفس المرجع ع 18 ص 84 .
9 – بشار إبراهيم : السينما الفلسطينية في القرن العشرين ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق 2001 ، ص 11 .
10 - Cinémaction p68 .
11 – Idem p 11.
12 – Idem p 113 .
13 – Idem p 97 .
14 – جان الكسان : السينما العربية و آفاق المستقبل ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق 2007 ، ص295 .
15 –Cluny Claude Michel : Dictionnaire des Nouveaux Cinémas Arabes , p156
16 – الإنتاج السينمائي الجزائري 1957 1973 ص 85 .
17 – نفسه ص 33 .
18 – نفسه ص 28 .
19- Images et Visages du Cinéma Algerien,p304
20- Cluny Claude Michel :Idem p 152
21 - Roger Boussinot : Encyclopédie du Cinéma , Tome 1 ,p410.
22 –Cluny Claude Michel : Dictionnaire des Nouveaux Cinémas Arabes ,p152

الأسماء الواردة في الفصل :

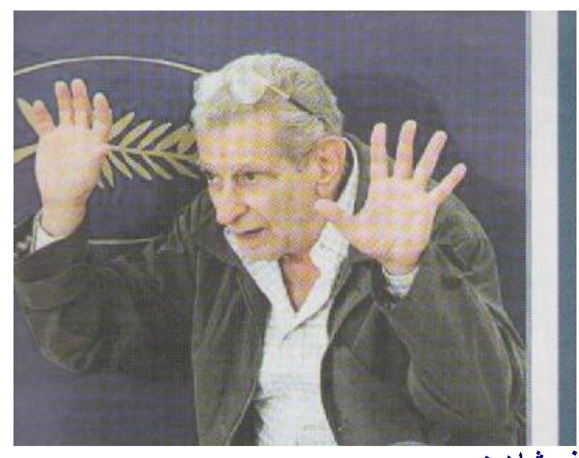
1 – لوكينو فشكنتي مخرج مسرحي و سينمائي إيطالي ، إسمه الكونت لوكينو فشكنتي دي مادرون ، 2 نوفمبر 1906 – 17 مارس 1976 .
" الغريب " 1968 .
2 – كوستا أو كونستانتن غافراس مخرج سينمائي فرنسي ، 12 فبراير 1933 بأثينا اليونان .
" زاي " 1969 .

3 – ميشال دراش او دراك فنان تشكيلي ومساعد مخرج ومخرج سينمائي فرنسي ، 18 اكتوبر 1930 باريس -15 فبراير 1990.
" إليز أو الحياة الحقيقية " أخرج الفيلم سنة 1966 ولم يعرض في القاعات إلا في سنة 1970 .



إليز أو الحياة الحقيقية لميشال دراش

4 – جون لوي برتوسيلي مخرج سينمائي فرنسي ، 3 جوان 1942 باريس .
" المتراس الطيني " 1970
5 إدوار مولينارو مخرج فرنسي ، 13 ماي 1928 بوردو .
" إعترافات رقيقة "1970
6 – يوسف شاهين مخرج سينمائي مصري ، 21 يناير 1926 الإسكندرية – 2009 .
" عودة الإبن الضال " 1976 .



المخرج يوسف شاهين

7 – علي غالم أو غانم ،مخرج جزائري ، 20 سبتمبر 1943 قسنطينة .
" زوجة لإبني " 1981 .
8 – عكاشة تويتة مخرج ، 1943 بمستغانم .
" موريتوري " 2007 .
9 – محمد بن صالح مخرج سينمائي و كاتب و باحث جامعي ، 1945 وهران .
" لازم لازم " 1972 .
10 – جمال بن صالح ممثل ومخرج سينمائي فرنسي جزائري ولد 7 أبريل 1976 سان دونيس .
" السماء و الطيور و أمك " 1999 .
11 – نذير مخناش أو مكناش مخرج جزائري ، 1965 بالجزائر
" حريم السيدة عصمان " 1999 .
12– كمال دهان مخرج جزائري ، 1954 بالجزائر .
" المشبوهون " 2003 .



المخرج عكاشة تويتة

13 – لياس سالم مخرج جزائري ، 1973 بالجزائر .
" مسخرة "2008 .
14 –أحمد كرزابي مخرج سينمائي ، 5 سبتمبر 1938 بتلمسان . " لتحيا الجزائر " 1972 .
15 –أحمد أوقصيري مساعد مخرج و مخرج ، 1 فبراير 1949 بالشلف .
" الخطوة الأولى " مساعد مخرج لمحمدبوعماري 1979 .
16 – الهادي قلال مخرج سينمائي ، 6 سبتمبر 1948 بالعاصمة . " الملعونة " 1982
17 – مصطفى منقوشي مساعد مخرج و مخرج ، 13 فبراير 1947 ببني صاف .
" أغنية الخريف " 1983 – مساعد مخرج .
18 – بدر الدين محمد بوطمين مخرج ، 19 أبريل 1944 بتلمسان .
" يوم زيارة " 1982 .

19 – أوزيد دحمان مساعد و مخرج سينمائي ، 21 يناير 1950 بتيزي وزو
" الساحة " 2010 .



المخرج دحمان أوزيد

20 – محمد أمزيان يعلى مخرج ، 16 سبتمبر 1946 بأقبو .
" اغنية الخريف " 1983 .

21 – مفتي الطيب مخرج ، 6 ديسمبر 1942 بالعاصمة ." زواج موسى " 1982 .
22 – محمد نذير عزيزي مخرج ، 20 أكتوبر 1941 بمليانة .
" زيتونة بو الهيلات " 1978 .
23 – محمد إفتيسان مخرج تلفزيوني ، 24 سبتمبر 1943 بالعاصمة .
" تجار الأحلام " 1976 .
24 – يوسف بوشوشي صحفي ومخرج سينمائي ، 1951 بالجزائر .
" من المذنب " 1972 .

25 – الهاشمي شريف مخرج تلفزيوني ، 5 أكتوبر 1939 –2 أوت 2005 .
" الطارفة " 1972 .



يانيس قوسيم

26 – رابح بوشمحة مخرج سينمائي ، 20سبتمبر 1926 .
"لتحيا الجزائر " 1972 مخرج ثان .
27 – عبد الحليم ناصف مخرج ، 5 جويلية 1939 بالبليدة .
" القناقن " 1964 .
28 – أحمد بجاوي مخرج و صحفي ، 20 مارس 1943 بسبدو . " الفدائيين " 1969 .
29 –عبد النور زحزاح مخرج ، ولد سنة 1973 بالبليدة .



خالد بن عيسى

" قراقوز " 2010 .- " فرانز فانون " 2003 .

30 – يانيس قوسيم مخرج ، ولد سنة 1977 بسطيف .

" خويا " 2010 .- " ختي " 2007 .



مؤنس خمار

31 –مؤنس خمار مخرج ومنتج ، صاحب شركة سفينة للإنتاج السينمائي .

" المسافر الأخير " 2010 –" نروحو " 2003 .

32 – يحي مزاحم مخرج ، ولد سنة 1975 بدمشق .

" البرتقال "2003 – " مائة بالمائة بقر " 2007 .
33 –ياسمين شويخ مخرجة ، مولودة 1982 بالعاصمة الجزائر ." الباب " 2006 – " الجن " 2010 .
34 –عمر بلقاسمي ممثل ومساعد مخرج و مخرج .
" البربر في تونس "2003 – " دهية " 2009 .
35 – خالد بن عيسى مخرج و ممثل ومنتج ، ولد بعنابة 1978 .
" بابل " 2006 - " سكتو " 2008
36 –محمد يرقي ممثل مسرحي و مساعدمخرج و مخرج ، ولد ببجاية 1972 .
" حورية " 2007 .

37 – كريم بن صالح مخرج ، ولد سنة 1976 بالجزائر .
" ضجيج الصمت " 2010 .
38 – مراد زيدي مخرج مساعد و مخرج ، مولود سنة 1971 بالجزائر .
" أحمد " 2006 .
39 – كريم موساوي منتج وكاتب سيناريو و مخرج ، ولد بالجزائر سنة 1975 .
" فطور "- "ماذا يجب أن نفعل " .
40 – مينا كسار ، سكريبت و مخرجة .
" ألم الصمت " 2003 .
41 –عبد الغني الراوي مخرج ، 18 نوفمبر 1979 بالعاصمة .
" الآليون اليوميون " 2004 .
42 – مريم عاشور بوعكاز مخرجة ، ولدت سنة 1976 .
" حارقين حارقين " 2008 .
43 – شريف مسعودن مخرج ، ولد سنة 1972 .
" مذكرات مقاطعة " 2008 .
44 –حسان فرحاني مساعد مخرج مسرحي وسينمائي ومخرج ،

ولد سنة 1986 بالعاصمة .
" خلجان الجزائر " 2006 .
45 – بهية بن الشيخ الفقون مخرجة ، ولدت سنة 1977 .
" إن هذا لقسطنطين " 2009 .
46 – أمقران محمد ماريش مخرج ، ولد سنة 1981 بالعاصمة .
" عشر سنوات " – "سيفاكس " 2007 .
47 – عبد النور زياني مخرج ، ولد سنة 1969 ببجاية .
" فتاح " .
48 – اسماعيل سلخ مخرج ، ولد 1985 بتيميمون .
" ولد البلاد " .
49 – محمد فاتح رابية مخرج .
" الغرباء ".



محمد يرقي

الخاتمة :

يبقى موضوع تاريخ السينما الجزائرية يشوبه الكثير من الغموض ، نتيجة لعدم توفر المصادر الموثوقة تاريخيا ، و مع ذلك يبقى هذا الكتاب لبنة أولى ومرجعا للباحثين في مجال السينما ، سواء في الجزائر أو في الوطن العربي .
و كان الدافع للكتابة عدم توفر المراجع الخاصة بالسينما الجزائرية باللغة العربية ، و بالرغم من توفرها باللغة الفرنسية إلا أنها لا تصل إلى القارئ العربي .
و ربما قد يكمن الحل لمشكلة المراجع باللغات الاجنبية ترجمتها إلى اللغة العربية ، و ترجمة المؤلفات الهامة عن السينما العربية إلى اللغات العالمية .
إن انعدام المراجع عن السينما الجزائرية لا يعني إطلاقا عدم أهميتها، فحقيقة الأمر إن السينما الجزائرية تشغل حيزا مهما في فضاء السينما العربية و الإفريقية ، بل أصبحت لها مكانة عالية في الغرب ذاته بعدما نضج جيل من المهاجرين الجزائريين و بدأوا ينتجون أفلامهم القصيرة و الطويلة تبعا للدول الموجودين فيها ، ومنهم من أنشأ شركته الخاصة للإنتاج حتى يتمكن من تحقيق أحلامه الفنية و إخراج أفلام سينمائية و السعي للعرضها في القاعات السينمائية في كثير من البلدان الأوروبية .
وبهذا لم تسقط السينما الجزائرية نهائيا في غيابات النسيان مثلما حدث للكثير من السينمات المشهورة عالميا في مراحل الخمسينات و الستينات والسبعينات من القرن العشرين ، أو مثلما حدث للسينما السوفياتية التي ذاع صيتها لعقود من الزمن .
ومع أن الكثير من النقاد يحاولون نفي نسبة أفلام المهاجرين إلى السينما الجزائرية ، إلا أن حججهم لا تصمد أمام مواقف المبدعين أنفسهم الذين يصرون على انتمائهم الجزائري بالرغم من حصول بعضهم على الجنسية الفرنسية أو ازدواج الجنسية .
وبهذا يصبح الحديث عن نسبة الأفلام المنتجة بنظام الإنتاج المشترك، او الأفلام التي يخرجها مهاجرون جزائريون غير مجدية، إذ يخالف الواقع كل

المزاعم ، بل إن الكثير من أولئك المخرجين السينمائيين يطالبون الهيئات الجزائرية بإنتاج أفلامهم ، مما يزيد من رابط الإنتساب .
و تبقى السينما الجزائرية تعاني من جانبها التجاري ، إذ لا تحوي الساحة السينما ئية إلا على عدد قليل من القاعات السينمائية ، معيقا بذلك المشاهد الجزائري من رؤية ما يستحدث من أفلام جزائرية ، غير أن هذا الوضع لا يعيق أبدا استمرار السينما الجزائرية في الإبداع ، إذ تمول كافة المشاريع عبر صندوق دعم الإنتاج السينمائي التابع لوزارة الثقافة الجزائرية ، أو من طرف لجنة السينما التابعة للتلفزيون الجزائري .
ومن المهم جدا الحفاظ على الإبداع السينمائي حسب راهن الجزائر السياسي و الاقتصادي ، ولكن يصبح ضروريا البحث عن نظام مستقل يضمن استمراية الإبداع الفني السينمائي مهما كانت الظروف التي تعيشها البلاد .
و في الأخير أرجو أن يستفيد القارئ مما حوته هذه المحاولة لتقديم تاريخ السينما في كتاب واحد ، بالرغم من اعتمادي على الاختصار، و محاولة الإحاطة بجميع المواضيع المرتبطة بالسينما الجزائرية في ماضيها و حاضرها .

المراجع العربية :

1 – إبراهيم بشار : السينما الفلسطينية في القرن العشرين ، وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 2001 .
2 - – أحمد بيوض : تاريخ المسرح الجزائري ، مطبوعات الجاحظية ، الجزائر .
3 – أندري بازان : ماهي السينما ن ج 1 ، نشأة السينما و لغتها ، ترجمة ريمون فرنسيس ، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة 1968 .
4 –بورايو عبد الحميد : مدخل إلى السيميولوجيا ، ترجمة عبد الحميد بورايو ، مؤلف جماعي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، بن عكنون ، الجزائر ، 1995 .
5 –جان الكسان : السينما العربية و آفاق المستقبل ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق 2006 .
6 –جرامون –روير لافون : السينما المعاصرة ، ترجمة موسى بدوي ، شركة ترادسكوم 1977 .
7 – عدنان مدانات : سينما تبحث عن ذاتها ن منشورات وزارة الثقافة السورية ن دمشق ، 2005 .
8 – صلاح دهني : قضايا السينما و التلفزة في الوطن العربي ، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، 1993 .
9 – محمد منصور : الكوميديا في السينما العربية ، منشورات وزارة الثقافة السورية ، دمشق ، 2003 .

المجلات :

مجلة الشاشتان ، تصدرها مطبوعات التلفزيون الجزائري .

المراجع باللغات الأجنبية :

1 – Boussinot Roger : Encyclopédie du Cinema
2- Charles Ford – René Jeanne : Histoire Illustrée du Cinéma . Le Cinéma Muet .Marabout Univérsité .
3 –Cluny Claude Michel : Dictionnaire des Nouveaux Cinémas Arabes , Sindbad ,Paris , 1978 .
4 – Daudet Alphonse :Tartarin de Tarascon , Booking International , Paris .1996 .
5 – Dejeux Jean :La Litterature Algerienne Contemporaine , que sais-je ,Presse Univérsitaire de France , 2 editions , 1979 .
6- Charles Ford :L’Univers des Images Animées , Albin Michel ,Paris ,1973 .
7 –Ahmed Lanasri :Mohammed Ould Cheikh un Romancier des Années Trentes , O.P.U .Benaknoun ,Algerie , 1986.
8 –Megherbi Abdelghani : Les Algeriens Au Miroir du Cinema Colonial , SNED , Algerie , 1982 .
9- Megherbi Abdelghani :Le Miroir aux Allouettes , E.N.A , O.P.U ,GAM , 1985 .
10 – Megherbi Abdelghani : Le Miroir Apprivoisée , ENAL , OPU ,GAM , 1986 .
11 – Sadoul George :Dictionnaire des Cineastes , Marabout Université , 1977 .
12 – Sadoul George : Histoire Generale du Cinéma ;Le Cinéma Devient un Art 1909 -1920 .Volume 1 , Avant Guerre .Denoel , Paris , 1973 .
13- Dictionnaire Larousse , 1987 .
14 – Images et Visages du Cinéma Algerien , Ministére de la Culture et du Tourisme Algerien , 1985 .
15 –Production Cinematographique 1959 -1973 .

16 – Revue : CinémAction et Grand Maghreb ,dir Guy Hennebelle , Cerf ,1987 , Institut du Monde Arabe .
17 –Revue Jeune Cinéma ,Paris , France.
18– Quotidient : El Watan 10 Novembre 1993.
1 Septembre 1997
7 Fevrier 2008
30-31 Janvier 1998
30 Janvier2010
19–La Tribune , 5-6 Decembre 1997 .
20 –Le Soir D'Algerie 26 -27 Novembre 2010 .

Sites :
www.africultures
www.wikipédia
www.algeriemonde

لا شك أن السينما صناعة وتجارة وإبداع فني، وكل عنصر من هذه العناصر هام بحيث لو انعدم أحدها أثر سلبا على وجود الفن السينمائي، فالجزائر في المرحلة الأولى بعد استقلالها ورثت عددا كبيرا من القاعات السينمائية مما يعني وجود تجارة سينماتوغرافية، إلا أن ذلك لم يكن كافيا لوجود سينما جزائرية لولا التفكير في تكوين إطارات السينما ومبدعين فيها، لذا لم تمر إلا سنوات قليلة حتى بدأت النتائج تبدو للعيان.

و الآن بعد مرور خمسة عقود على الاستقلال تضاءل عدد القاعات حتى أصبح يعد على الأصابع، ومع ذلك لا زالت السينما الجزائرية قائمة كصناعة وإبداع، وذلك بفضل ميكانيزمات مالية طرحتها الجهات المعنية كمحاولة للإبقاء على الفن السابع قائما.

وهذا يعني أن الأسس التي بنيت عليها السينما في الغرب، قد تصلح في بلدان مختلفة اتخذت السينما تجارة، ولكن بعض التجارب لا يمكننا أن نتناساها، فالاتحاد السوفياتي سابقا ابتكر طريقة جادة لترقية وتطوير السينما في روسيا عن طريق خلق قطاع عام يتكلف بإنتاج وتوزيع المنتوج السينمائي، وكان ذلك النظام ناجحا بنسبة كبيرة، وهو نفسه النظام الذي اتبعته الجزائر مع نهاية الستينات إلى غاية زمننا الحاضر، وقد انتقد نفس النظام في مراحل سابقة، إلا أن السينمائيين الجزائريين لم يجدوا عنه بديلا ما دامت السينما الجزائرية لا تهتم بالأرباح التي تجنيها من العروض السينمائية.

